من التراث الصوفى

معراج التشوف إلى حقائق التصوف

للعارف بالله
أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى
1160 هـ 1224 هـ

تقديم وتحقيق وتعليق
أ. صفوت جودة أحمد

دار الخلود للتراث
42 سوق الكتاب الجديد - العتبة- القاهرة
0181607185-25919726

اسم الكتـــــاب : **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**
المـــؤلــــف : أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى
الناشـــــــر : **دار الخلود للتراث**
عدد الصفحـــات : 96
الطبعـــــــة : الأولي- يناير 2008
رقم الايـــــداع :2007/25034
الترقييم الدولـــى : 0-19-6177-977

الإخراج الفنى وتصميم الغلاف والطباعة : **مطبعـــة التقـــوى**
جمال خليفة 0122777965

دار الخلود للتراث
42 سوق الكتاب الجديد - العتبة- القاهرة
0181607185-25919726

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله على هداه، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه.

وبعد،،

التصوف فى حقيقته[١] إيثار وتضحية، تضحية باللذائذ والشهوات وإيثار لما يبقى على ما يفنى، تضحية بالعاجل وإيثار للآجل، مجاهدة للنفس ومغالبة لأهوائها.

هو نزوع فطرى إلى الكمال الإنسانى إلى التسامى والمعرفة عن طريق الكشف الروحى، أو العلم اليقينى، الناشئين عن الإلهام الإلهى والنظر العقلى والرياضية النفسية وبعض الدلائل الحسية[٢].

والتصوف روح لمجموع حقائق الإسلام من عبادة وإيمان ويقين وعرفان[٣]، وهو إيثار الحق على رغبات النفس.

يقول الجنيد: التصوف هو أن يمتلك الحق عندك ويحييك به.

ويقول الكرخى: هو الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق.

يقول أبو الحسن الشاذلى: هو تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية.

---

(١) نشأة التصوف للأستاذ/ عبد الكريم الخطيب العدد ٢٢ من سلسلة الثقافة الإسلامية.

(٢) المدخل إلى التصوف الإسلامى - محمود أبو الفيض المنوفى ص٩.

(٣) راجع ص ١٠ المرجع السابق.

وسئل أحد الصوفية عن معنى التصوف فقال : معناه أن العبد إذا تحقق بالعبودية واتصف بشهود حقائق الربوبية صفا من كدر البشرية فنزل منازل الحقيقة وأخذ بمكارم الشريعة، فإن فعل فهو الصوفى، والصوفى أحد ثلاثة - كما يقول السرى : واحد لا يطفىء نور ورعه ومعرفته وواحد لا يتكلم بباطن فى علم ينقضه عليه ظاهر من الشرع، وواحد لا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله[١].

ويقول شاعر الإسلام محمد إقبال[٢] : إن الإسلام يأخذ عنه الصوفية طابعًا من الجمال والكمال والإنسانية العالية والأخوة العالية لا نجده فى إسلام الفقهاء والمتكلمين.

ويقول الطوسى (٣٧٨هـ) فى «اللمع» عن الصوفية : إنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة والأخلاق الشريفة وهم مع الله تعالى فى الانتقال من حال إلى، مستجلبين للزيادة[٣].

وقيل لأبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء ما معنى الصوفى فقال : ليس نعرفه فى شرط العلم، ولكن نعرف فقيراً مجردا من الأسباب كان مع الله عز وجل بلا مكان ولا يمنعه الحق من علم كل مكان سمى صوفيا[٤].

ويقول الإمام الغزالى فى «المنقذ من الضلال» عن طريق الصوفية إنها : قطع عقبات النفس، والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة

---

(١) راجع ص ١٢٨، ١٢٩ الرسالة القشيرية للإمام القشيرى واللمع للطوسى ص ٤٥ - ٤٨.

(٢) مقدمة اللمع للطوسى تحقيق د/ عبد الحليم محمود ص٩.

(٣) ص ٤٠ المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ٤٦.

حتـى يتوصـل بهـا إلـى تخليـة القلب عـن غـير الله تعالى، وتحليته بذكر الله[١].

وعلم التصوف ظهر فى القرن الثالث الهجرى على أيدى الجنيد ومدرسته، وإن كان التصوف نفسه قد ظهر فى القرن الثانى :

ويقول ابن خلدون فى علم التصوف: هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة.. وأصله أن طريقه هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها : من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور. من لذة ومال وجاه، والأنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا؛ اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة[٢].

ويقول أبو طالب المالكى فى «قوت القلوب»: هذا العلم (التصوف) ثمرة قول لا إله إلا الله، فهو حقيقة التوحيد والتنزية ولا يؤتيه ويعلمه إلا أولياءه المتقين المفلحين وعباده الصالحين وهم أهل القلوب السليمة الطاهرة والجوارح الخاشعة الذاكرة والألباب الراجحة الفاخرة، وهم ثلاث طبقات : من المقربين المحبوبين والمتقربين المحبين، ثم أهل اليمين وهم أهل الله، وأهل العلم بالله وأهل الحب فى الله وأهل الخوف فى الله، استحضرهم فحضروا

---

(١) ويقول ابن تيمية فى رسالته عن الصوفية : الصوفى : من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ .

واستحفظهم سره فحفظوا، وأشهدهم على وجوده من قبل خلقهم فشهدوا، فهم الأدلة منه عليه وهو دليلهم إليه وهم جامعو العبادة به عليه وهم الربانيون من العلماء أئمة المتقين وأركان الهدى والدين أولو القوة فى الله والتمكين، كشف لهم عن أسرار الكتاب الكريم، وهداهم إلى الصراط المستقيم وهم المفردون المقصودون بالسبق والمزيد فضلهم على من سواهم من المؤمنين كالقراء والعباد وأهل المجاهدة والزهد واختارهم لنفسه واختصهم بأنهم خصائص عباده.

ويحتل[1] التصوف بين فروع المعرفة الإسلامية المكان الأعلى فهو خلاصة الحكمة فى الآداب الإسلامية وخلاصة النور فى الفضائل المحمدية. وهو جماع الدراسات النفسيه والقلبية فى الفكر الإسلامى. وهو المساهم الأكبر فى تجلية المعانى القرآنية والأحاديث النبوية.

والتصوف بذاته ثمرة كبرى فى المعارف الإسلامية وهو بما أثار حوله من معارك وخصومات ومجادلات ثروة ضخمة لرواد العلوم والمعارف العالمية، وإلى التصوف يعزى الفضل فى تحطيم الفلسفة المادية فى الشرق، وفى وقف التيارات الإلحادية والمذاهب المارقة التى غمرت العالم الإسلامى منذ فجر وجوده.

يقول المستر «ادوار روس» فى كتابة فلسفة الدين الإسلامى: إن ظهور الفرق الصوفية التى انتشرت فى الإسلام لشهادة بوجود الشوق فى التعاليم الإسلامية إلى اتصال وثيق بإله رحيم رحمن يفيض بالحب.

ولا يمكن إغفال ما أفاد الإسلام من الثقافة الصوفية فالتصوف هو الذى

---

(١) من أعلام التصوف الإسلامى ص ٧٤ وما بعدها ج٢.

ملأ الجوانب الخالية من قلوب المسلمين، والصوفية علموا الناس المحبة وأشاعوا فى الدنيا الصفاء، وأضفوا على الحياة الطهر والنقاء.

والكتاب الذى بين أيدينا «معراج التشوف إلى حقائق التصوف» للعارف بالله الإمام أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى - من الكتب التى تحدثت عن آداب التصوف وأخلاقه وتبين من خلال موضوعاته أن أدب التصوف أدب آلهى سام ومدد ألهمه الله للمتصوفين فاستلهموه بكل ظاهره وباطنه منهاجهم فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

كما بين أن صفات التصوف تقوم على الإخلاص وطهارة القلب لقوله تعالى ﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ﴾ (البينة:٥).

والخشية من الله لقوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ (فاطر:٢٨)

والخشوع لله لقوله تعالى ﴿ **خَاشِعِينَ لِلَّهِ** ﴾ (آل عمران:١٩٩)... والتواضع للمخلوقات لقوله تعالى ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ (الحجر:٨٨).

وحسن الخلق كقوله تعالى ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ** ﴾ (آل عمران:١٥٩)

والزهد فى الحياة لقوله تعالى ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ** ﴾ (القصص:٨٠).

عملنا فى هذا الكتاب القيم النافع

١- تصحيح النسخة الأصلية وإعادة كتابتها من جديد .

٢- قمنا بترجمة مختصرة لكل العلماء الذين ورد ذكرهم فى الكتاب .

٣- التعريف بصاحب الكتاب بكتابه ترجمة وافية عنه .

٤- تناولنا أحاديث الرسول ﷺ بالتخريج واعتمدنا فى ذلك على :

- كتب الصحاح السنة .
- كتاب فتح البارى على شرح حديث البخارى .
- كتاب الترغيب والترهيب .

٥- الدلالة على آيات القرآن الكريم بذكر رقم الآية والسورة وأعتمدنا فى ذلك على :

- القرآن الكريم .
- المعجم المفهرس .

٦- توضيح ما يمكن توضيحه ومحاولة ميسرة لتقريب الفكرة إلى ذهن القارىء .

وحقًا يعتبر هذا الكتاب بصورته الجديدة وظهوره بثوبه الجديد أضافة للمكتبة الإسلامية بصفة عامة والمكتبة الصوفية بصفة خاصة .

أسأل الله العلى القدير إن يجعل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم وان يجعله فى ميزان أعمالنا يوم العرض عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين .

صفوت جودة أحمد

التعريف بالمؤلف

أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنى

صاحب كتاب «معراج التشوف إلى حقائق التصوف»

المولـود: ١١٦٠هـ.
المتوفى: ١٢٢٤هـ.

اسمه: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى عجيبة الحسنى .

مولده: ولد فى ١١٦٠، وقيل ١١٦١هـ فى قرية الخميس الواقعة فى الطريق بين طنجة وتطوان .

طفولته: يحدث عن نفسه فيقول : كانت نشأتى والحمد لله فى صيانه وحفظ ورعاية وعفاف لم يمر علينا ما يلحق حال الشباب من شعبه الجنون . بل عصمنا الله وحفظنا من المعاصى الكبار بعد الابتلاء والاختبار . فكم من امرأة تهيأت لنا وراودتنا عن نفسنا فحال الله بيننا وبينها بحفظه ورعايته . فشبابنا كله نشأ فى عبادة الله فله الحمد وله الشكر وله المنه وله الطول .

طلبه للعلم: لما بلغ من العمر تسع عشرة سنة أو ثمان عشرة شرعت فى قراءة العلم الظاهر وسبب ذلك أنه كان يقرأ فى قبيلة بنى مصور بمدشر دار الشاوى على الفقيه الصالح سيدى محمد أشمل وقد شهدت له بركة عظيمة فى الفتح .

قرأ على الشيخ عبد الكريم بن قريش التفسير والبخارى مرارا ومسلما ومختصر خليل مرارا والرسالة وتحفة الحكام لابن عاصم ولامية الزقاق . والألفية مرارا وابن هشام المحاذى سردا وبحثا وتحقيقا ولامية الأفعال مراراً وجزءا من المغنى والصغرى والكبرى ومختصر السنوسى والسلم فى المنطق . وتلخيص

المفتاح فى البيان. ومختصر السبكى فى الأصول. والشفاء والهمزية فى مدح خير البرية.

وأخذ عن النحوى الشهير سيدى محمد العباس ألفية ابن مالك بحثا وتحقيقا. وقواعد ابن هشام.

وأخذ عن القاضى الشهير سيدى عبد السلام بن قريش تفسير القرآن العظيم. وشمائل الترمذى وغيرهما. وجلس فى حلقة الرجل الصالح الفقيه العلامة سيدى محمد غيلان مرة أو مرتين.

وفى حلقة العلامة سيدى على شطير مرارا وكانت قراءاته كلها ممزوجة بالعبادة. لم يترك قيام الليل إلا نادراً وكان يقسم الليل ثلاثًا: ثلث للنوم. وثلث للتهجد وثلث للمطالعة.

ولما توفى شيخة الجنوى سنة ١٢٠٠هـ رحل إلى مدينة فارس فسمع البخارى من شيخ الجماعة العالم العلامة سيدى محمد التاودى ابن سودة سرداً مع نكت جيدة وتدقيقات حسنة. وطُرف من حكايات الصالحين.

أخذ علم الفرائض عن فرض وقته العلامة المشارك سيدى محمد بنِّيس (بفتح الباء وتشديد النون المكسورة) وقرأ عليه أيضًا جزء من التسهيل لابن مالك فى النحو وأجازه أيضًا فى سائر العلوم.

وجلس فى حلقة التفسير للورع الزاهد سيدى أحمد الزعرى أياما وفى حلقة التلخيص للحافظ الكبير النحوى اللغوى سيدى الطيب ابن كيران.

ثم يرجع إلى تطاون فاشتغل بتدريس العلم. وذكر الله تعالى فرداً وجماعة. حتى أخذ الله بيدى بملاقاة الشيخ العارف بالله الصمدانى سيدى محمد البؤزيدى الحسنى. وشيخه قط التربيه النبوية.

مؤلفاته:

١- شرح الهمزية.

٢- البردة للبوصيرى.

٣- شرح الوظيفة الزرفية.

٤- شرح الحزب الكبير للشاذلى.

٥- شرح أسماء الله الحسنى.

٦- شرح المنفرجة لابن النحوى.

٧- شرح نائية الجعيدى.

٨- التعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك.

٩- شرح حكم بن عطاء الله.

١٠- البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد[١].

١٢- شرح خمرية ابن الفارض.

١٣- الخمرة الأزلية.

١٤- شرح تصلية ابن العربى الحاتمى.

١٥- معراج التشوف إلى حقائق التصوف «الذى بين أيدينا الآن».

إلى غير ذلك من الكتب القيمة النافعة الكثيرة التى تركها شيخنا الجليل.

---

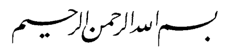
(١) هذا التفسير من أجل كتب التفسير الصوفى طبع في مصر على نفقة الدكتور حسن عباس زكى في ستة أجزاء تحقيق وتعليق الدكتور أحمد عبد الله القرشى رسلان المدرس المساعد بقسم التفسير كلية أصول الدين - طنطا - طبعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وفاته:

توفى الشيخ أحمد بن عجيبة بالطاعون فى دار أستاذه فى مدينة عمارة عام ١٢٢٤هـ، ولا يزال ضريحه الذى يشرف على ربوة زميج على بعد ٢٠ كيلو مترا من طنجة، يزار للتبرك والدعاء عنده وتحتفل الطريقة الدرقاوية العجيبية بموسمه فى ١٤ سبتمبر من كل عام[١].

---

(١) انظر محمد داود تاريخ تطوان الجزء الثالث، ١٩٦٢م وانظر ابن عجيبه «الفهرسة» تحقيق وتعليق د/ عبد الحميد صالح حمدان الطبعة الأولى – ١٩٩٠م ط/ دار الغد العربى.



مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي حقق الحقائق وأوضح الطرائق والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد الخلائق المخصوص بتواتر المعجزات وتظاهر الخوارق ورضي الله تعالى عن أصحابه الأعلام الذين أظهر الله بهم دينه القويم في أقصى المغارب والمشارق.

وبعد،،،

فعلم التصوف هو سيد العلوم ورئيسها ولُباب الشريعة وأساسها وكيف لا وهو تفسير لمقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان، كما أن علم الكلام تفسير لمقام الإيمان، وعلم الفقه تفسير لمقام الإسلام وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام على تفسير الجميع؛ فإذ تقرر أنه أفضل العلوم تبين أن الاشتغال به أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان، وقد اشتمل على حقائق غريبة(١) وعبارات دقيقة اصطلح القوم على استعمالها فينبغي الوقوف على معانيها لمن أراد الخوض فيه والوقوف على معانيه، وقد أردت بحول الله وقوته أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن(٢) واصطلاحاته لعل الله ينفع بها من يريد الوقوف على هذا العلم وسميتها: (**معراج التشوف إلى حقائق التصوف**) وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق وسأذكر لكل حقيقة ما يتعلق بها بداية ووسطا ونهاية.

---

(١) حقائق غريبة: أى حقائق عميقة متجذرة، وغائصة فى أصل الموضوع.

(٢) أى فن التصوف؛ والفن لغة مجموع قواعد تتعلق بحرفة أو مهنة أو نشاط اجتماعى، والفن أيضا طريقة بارعة فى عمل شيء، وهو أيضا تطبيق عملى لقواعد نظرية.

التصوف

علم يُعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل أو غيبة الخلق في شهود الحق أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة، واشتقاقه إما من الصفاء؛ لأن مداره على التصفية أو من الصفة لأنه اتصاف بالكمالات أو من صُفة المسجد النبوي لأن الصوفية متشبهون بأهل الصُّفة في التوجه والانقطاع أو من الصوف؛ لأن جل لباسهم الصوف تقللا من الدنيا وزهدا فيها اختاروا ذلك لأنه كان لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا الاشتقاق أليق لغة وأظهر نسبة لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إلى غيره أمر باطن والحكم بالظاهر أوفق وأقرب، يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص، والنسبة إليه صوفي.

قال سهل[١]: الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله عن البشر واستوى عنده الذهب والمدر، أي لا رغبة له في شيء دون مولاه.

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبدالله بن رفيع التسترى أحد أئمة القوم وعلمائهم والمتكلمين فى علوم الرياضيات والإخلاص وعيوب الأفعال.

من كلامه:

- الناس نيام، فإذا انتبهوا ندموا، وإذا ندموا لم تنفعهم ندامتهم.
- ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم.
- الذى يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حفظ سره، وأداء فرضه، وصيانة فقره.
- أعمال البر يعملها البر والفاجر، ولا يجتنب المعاصى إلا صديق.

توفى سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

وقال الجنيد[١]: الصوفي كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه إلا كل مليح. وقال أيضا: الصوفي كالأرض يطأه البر والفاجر وكالسماء يظل كل شيء وكالمطر يسقى كل شيء.

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجزاز ولد بالعراق ونشأ بها وكان فقيها، تفقه على أبى نور، وكان يفتى فى حلقته، صحب السرى السقطى، والحارث المحاسبى وهو من أئمة القوم وسادتهم.

من كلامه:

- الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار.
- فتح كل باب شريف بذل المجهود.
- أكثر الناس علما بالآفات أكثرهم آفات.
- الحياء من الله عز وجل أزال عن قلوب أوليائه سرور المنه.

توفى: سنة سبع وتسعين ومائتين يوم نيروز الخليفة يوم السبت، وقيل: توفى فى آخر ساعة من يوم الجمعه ودون يوم السبت.

التوبـــة

الرجوع عن كل فعل قبيح إلى كل فعل مليح أو عن كل وصف ديني إلى التحقق بكل وصف سني أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق(١) وشروطها الندم والإقلاع ونفي الإصرار، وأما رد المظالم ففرض مستقل تصح بدونه كما تصح من ذنب مع الإصرار على آخر من غير نوعه، فتوبة العامة من الذنوب، وتوبة الخاصة من العيوب وتوبة خاصة الخاصة من كل ما يشغل السر عن حضرة علاَّم الغيوب وكل المقامات تفتقر إلى التوبة، فالتوبة تفتقر إلى توبة أخرى بعدم نصوحها والخوف يفتقر إليها بحصول الأمن والاغترار والرجاء بحصول القنوط والأياس(٢) والصبر بحصول الجزع والزهد بخواطر الرغبة والورع بتتبع الرخص أو خواطر الطمع والتوكل بخواطر التدبير والاختيار والاهتمام بالرزق والرضا والتسليم بالكراهية والتبرم عند نزول الأقدار والمراقبة بسوء الأدب في الظاهر وخواطر السوء في الباطن والمحاسبة بتضييع الأوقات في غير ما يقرب إلى الحق والمحبة بميل القلب إلى غير المحبوب والمشاهدة بالتفات السر إلى غير المشهود أو باشتغاله بالوقوف مع شيء من

---

(١) **وقيل عند الإمام الشعراني**: هى رجوع العبد إلى الله تعالى بقلبه فى أكثر حالاته حتى لا يكون غافلا عن ربه ونفسه وهى الرافعة لحكم المعاصى المتجدده فى كل يوم وليلة كما رفعت الشهادتان عن حكم الشرك الخفى – لطائف المنن ص ٦٥ ج١٢.

وقال السوسى: التوبة الرجوع من كل شيء زمه العلم إلى ما مدحه العلم – عوارف المعارف ص٢٩ ج٤ على هامش الأحياء.

ومن الآيات الدالة عليها: قوله تعالى ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [سورة النور آية ٣١]. وقوله صلى الله عليه وسلم «**الندم التوبة**».

(٢) الأياس : القنوط.

الحس وعدم زيادة الترقي في معاريج الأسرار ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مائة[١] والتوبة النصوح يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وعدم الإصرار بالجنان ومهاجرة سيِّئ الخِلان.

وقال سفيان الثوري[٢]: علامة التوبة النصوح أربعة: القلة والعِلة والذلة والغربة.

---

(١) ورد بهذا المعنى حديث أخرجه البخارى فى كتاب الدعوات باب استغفار النبى ﷺ ونصه: «**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**».

(٢) هو سفيان بن سعيد الثورى رضى الله عنه، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث. ولد رضى الله عنه سنة سبع وتسعين. وخرج من الكوفة إلى البصرة سنه خمس وخمسين ومائة. كان رضى الله عنه عالم الأمة وعابدها وزاهدها وكان يقول: لا ينبغى للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل فى الأدب عشرين سنة.

وكان يقول أيضا: لو أن عبداً عبدالله تعالى بجميع المأمورات إلا أنه يحب الدنيا إلا نودى عليه يوم القيامة على رءوس أهل الجمع: ألا إن هذا فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل. أ.هـ.

توفى رضى الله عنه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة.

الإنابــة

وهي أخص من التوبة لأنها رجوع يصحبه انكسار ونهوض إلى السير(١) **وهي ثلاث مراتب**: رجوع من الذنب إلى التوبة ومن الغفلة إلى اليقظة ومن الفرق إلى الجمع على الله.

الخــوف

انزعاج القلب من لحوق مكروه أو فوات مرغوب(٢) وثمرته النهوض إلى الطاعة والهروب من المعصية فإظهار الخوف مع التقصير دعوى، فخوف العامة من العقاب وفوات الثواب. وخوف الخاصة من العتاب وفوت الاقتراب. وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب.

---

(١) الإنابة: هى الرجوع أو قيل سرعة الرجوع إلى الله فى جميع الحالات.

والرجوع إلى الله فى حال المعصية خصوصًا لأن العبد أحوج ما يكون لهذا الرجوع فى حال المعصية أكثر منه فى حال الطاعة. قال الله تعالى ﴿**وأنيبوا إلى ربكم**﴾.

(٢) الخوف: هو معنى متعلقة فى المستقبل لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب. ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل فى المستقبل.

والخوف من الله تعالى: هو أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى إما فى الدنيا وإما فى الآخرة.

وقد فرض الله تعالى على العباد أن يخافوه فقال تعالى ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ [سورة الرحمن آية٤٦]. ﴿**وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾ [سورة آل عمران آية ١٧٥]. ﴿**يخافون ربهم من فوقهم**﴾.

وقال رسول الله ﷺ: عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله.. ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله**﴾ أهو الرجل يسرق ويزنى ويشرب الخمر...؟ قال: لا ولكن الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يقبله (اللمع للطوسى تحقيق د/ عبد الحليم محمود ص ١١٨).

الرجـــاء

سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي فى أسبابه وإلا فأمنية وغرور[١]، فرجاء العامة حسن المآب بحصول الثواب. ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب، ورجاء خاصة الخاصة التمكين من الشهود وزيادة الترقي في أسرار الملك المعبود والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير لا يطير إلا بهما وربما يرجح الرجاء عند العارفين والخوف عند الصالحين.

الصـــبر

حس القلب على حكم الرب[٢]، **فصبر العامة**: حبس القلب على

---

(١) يعرف الإمام القشيرى الرجاء بقوله:

تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل وهناك فرق بين الرجاء وبين التمنى بقوله: التمنى يورث صاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء. فالرجاء محمود والتمنى معلول. (الرسالة القشيرى ص ٣١٨ ج١).

قال تعالى: ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا** ﴾ [سورة الكهف آية ١١٠]. وفى الحديث عن أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال:

«قال ربكم عز وجل: عبدى ما عبدتنى ورجوتنى ولم تشرك بى شيئًا غفرت لك على ما كان منك ولو استقبلتنى بملء الأرض خطايا وذنوبا استقبلتك بمثلها مغفرة فاغفر لك ولا أبالى.

(٢) الصبر فى اللغة:

- **حبس النفس وكفها عن الجزع والسخط.**
- **حبس اللسان عن الشكوى.**
- **حبس الجوارح عن المحرمات والأغراء.**

والصبر فى القرآن هو: حبس النفس على ما تكره ابتغاء مرضاة الله كما قال الله ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم** ﴾ سورة الرعد آية (٢٢).

مشاق الطاعات ورفض المخالفات. **وصبر الخاصة**: حبس النفس على الرياضات والمجاهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال مع مراقبة القلب في دوام الحضور وطلب رفع الستور. **وصبر خاصة الخاصة**: حبس الروح والسر في حضرة المشاهدات والمعاينات، أو دوام النظرة والعكوف في الحضرة.

الشكر

فرح القلب بحصول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم والاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع[١] ومرجعه لثلاث: **شكر باللسان**: وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة. **وشكر بالبدن**: وهو اتصافه بالخدمة. وشكر بالقلب وهو شهود المنعم عند حصول النعمة ومرجع الكل إلى **ما قال الجنيد**: أن لا يُعصى الله بنعمه؛ فشكر العامة الثناء باللسان، وشكر الخاصة الخدمة بالأركان وشكر خاصة الخاصة الاستغراق في شهود المنان.

الورع

كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته فورع العامة ترك الحرام والمتشابه. وورع الخاصة ترك كل ما يكدّر القلب ويجد منه كزازة وظلمة

---

(١) الشكر: الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

ومعاني الشكر ثلاثة أشياء:-

■ معرفة النعمة ثم قبول النعمة ثم الثناء بها فبحصول النعمة يعرف المنعم ثم يحصل الثناء من المنعم عليه إلى المنعم. قال تعالى ﴿**وقليل من عبادى الشكور**﴾.

ويجمعه قوله عليه الصلاة والسلام: «**دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك**»[١].

وورع خاصة الخاصة رفض التعلق بغير الله وسد باب الطمع في غير الله وعكوف الهم على الله وعدم الركون إلى شيء سواه وهذا هو الورع الذي هو ملاك الدين **كما قال الحسن البصري**[٢] حين سئل ما ملاك الدين فقال: الورع، فقيل له وما فساد الدين؟ فقال الطمع فالورع الذي يقابل الطمع كل المقابلة هو ورع خاصة الخاصة وجزء منه يعدل آلافا من الصلاة والصيام **ولذا قال في التنوير**[٣]: وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على ورده وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه والتحرر من رق الطمع والتحلي بحلية الورع يعني ورع الخاصة أو خاصة الخاصة والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه النسائي والترمذى وقال: حديث صحيح، ورواه أحمد وابن حبان والترمذى بزيادة فى آخر وهى «فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة».

■ ورواه أبو نعيم فى الحلية والخطيب أحمد بن على البغدادى بزيادة «فإنك لن تجد فقد شىء تركته لله»، ورواية الترمذى فى كتاب صفة القيامة. باب ٢٥١٨ حدثنا أبو موسى الأنصارى حدثنا عبد الله بن ادريس، حدثنا شعبه عن بريد بن أبى مريم عن أبى الحور السعدى قال: قلت للحسن بن على ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم..؟ قال وقال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه – وذكره قال: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) هو الحسن بن يسار البصرى أبو سعيد كان إمام أهل البصرة وهو أحد العلماء الفقهاء ولد بالمدينة عام ٢١هـ. وشب فى كنف على بن أبى طالب واستكبته الربيع بن زياد والى خرسان توفى بالبصرة عام ١١٠هـ.

(٣) التنوير فى اسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندرى.

الزهـــد

خلو القلب من التعلق بغير الرب أو برودة الدنيا من القلب وعزوف النفس عنها[١]، فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال، وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات وحاصل الجميع برودة القلب عن السوى وعن الرغبة في غير الحبيب وهو سبب المحبة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ازهد في الدنيا يحبك الله**»[٢] الحديث وهو سبب السير والوصول؛ إذ لا سير للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب.

التوكـــل

ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه أو التعلق بالله والتعويل

---

(١) الزهد عند الإمام الغزالي: عبارة عن رغبته عن الدنيا عدول إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى. وهى الدرجة العليا.

ويؤيـــد ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحارثة كيف أصبحت يا حارثه..؟

قال أصبحت مؤمنًا حقًا.

فقال صلى الله عليه وسلم: لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك..؟

قال: عزفت نفسى عن الدنيا، فاستوى عندى ذهبها ومدرها وكأنى انظر إلى أهل الجنة يتنعمون وكأنى انظر إلي أهل النار فى النار يعذبون وكأنى أرى عرش ربى بارزًا، من أجل ذلك أسهرت ليلى واظمأت نهارى، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: عرفت فالزم.

(٢) حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره باسانيد حسنة وتمام الحديث ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس».

عليه في كل شيء[١] علماً بأنه عالم بكل شيء وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، فأدناه أن تكون مع الله كالموكل مع الوكيل الشفيق الملاطف. ووسطه كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها. وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل. فالأول للعامة والثاني للخاصة. والثالث لخاصة

---

(١) للصوفيه عدة تعريفات فى التوكل:

قال سهل: التوكل الاسترسال بين يدى الله تعالى.

وقال أبو عبد الله القرشى: التوكل ترك الإيواء إلا إلى الله.

قال أبو أيوب: التوكل طرح البدن فى العبودية، وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية.

قال سرى السقطى: التوكل الانخلاع من الحول والقوة.

وقال ابن مسروق: التوكل الاستسلام لجريان القضاء فى الأحكام.

وقال الجنيد: حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل.

وقال بعضهم: التوكل سر بين العبد وبين الله.

ومن الأحاديث التى تدل على التوكل:

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

«لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» أ.هـ.

رواه الإمام أحمد فى مسنده، وابن خزيمة والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى الصحيح والحاكم فى المستدرك، يقول ابن عطاء الله السكندرى فى هذا الحديث تراه يدل على الأمر بالتوكل على الله تعالى لا على نفى الأسباب بل يدل على إثباتها لقوله صلى الله عليه وسلم: «تغدو خماصا وتروح بطانا».

فقد أثبت لها غدوها ورواحها وهو سببها ونفى عنها الإدخار.

فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول: «لو توكلتم على الله حق توكله لما ادخرتم ولأغناكم التوكل على الله عن الإدخار معه ورزقتم كما يرزق الطير تؤتى برزق يومها، ولا تدخر لغدها، ثقة منها، بأن الله تعالى لا يضيعها، فأنتم أيها المؤمنون أولى بذلك.

فأفاد عليه الصلاة والسلام: أن الإدخار إنما هو من ضعيف اليقين.

الخاصة؛ فالأول قد يخطر بباله تهمة. والثاني لا اتهام له لكن يتعلق بأمه عند الحاجة. والثالث لا اتهام ولا تعلق له لأنه فان عن نفسه ينظر كل ساعة ما يفعل الله به.

الرضىٰ والتسليم

الرضى تلقِّي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء[1] أو ترك الاختيار على الله فيما دبَّر وأمضى، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار (**والتسليم**) ترك التدبير والاختيار بالسكون تحت مجارى الأقدار فيرادف الرضى على الحد الأخير والرضى أعظم منه على الأولين، وقيل الرضى يكون عند النزول والتسليم قبل النزول وهو التفويض بعينه فبدايتهما بالصبر والمجاهدة ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرم والكراهية ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرم. فالأول للعامة. والثاني للخاصة. والثالث لخاصة الخاصة ويغتفر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية إذ لا يخلو منه بشر.

---

(١) **الرضى عند رجال التصوف بصفة عامة**: هو التسليم الكامل لله سبحانه وتعالى والإنقياد المطلق لإرادته إنه إسلام الوجه إلى خالق الأرض والسماء وموجد الحياة والموت والإتجاه إليه فى الغنى والفقر فى العطاء والمنع فى الحياة وما بعد الحياة.

والرضى فى القرآن الكريم والسنة النبوية:

قال تعالى: ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾ [سورة التوبة آية ١١٩] ﴿ **رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ [سورة المائدة آية ١١٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا» [رواه مسلم عن العباس وأحمد فى مسنده والترمذى].

المراقبة

إدامة علم العبد باطلاع الرب أو القيام بحقوق الله سرًّا وجهرًا خالصًا من الأوهام، صادقا في الاحترام وهي أصل كل خير وبقدرها تكون المشاهدة(١) فمن عظمت مراقبته عظمت بعد ذلك مشاهدته، فمراقبة أهل الظاهر حفظ الجوارح من الهفوات، ومراقبة أهل الباطن حفظ القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات، ومراقبة أهل باطن الباطن حفظ السر من المساكنة إلى غير ذلك.

المحاسبة

عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات وتكون آخر النهار(٢) كما أن (**المشارطة**) تكون أول النهار يقول لنفسه في أول نهاره هذا يوم جديد وهو عليك شهيد فاجتهدى في تعمير أوقاته بما

---

(١) **قال الجرجاني**: المراقبة هى استدامة علم الصيد باصلاء الرب على جميع أحواله.

وقال المحاسبى: هى علم القلب بقرب الحق تعالى.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيات كثيرة تحث على مراقبة الله وكذلك الحديث:

ففى القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ **إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء** ﴾ [سورة آل عمران آية ٢٥] ﴿ **ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب** ﴾ [سورة التوبة آية ٧٨].

ما يلفظ من قول إلا لديه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

(٢) **وأساسه ذلك عند الصوفية هو**: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وزينوا أنفسكم ليوم العرض على ربكم». هذا من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه رواه أحمد والترمذى (٩ / ٢٨٢).

يقـرِّبك إلى الله ولو مت بالأمس لفـاتك الخيـر الذي تفـوزين به فـيـه، وكـذلك يقول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إدباره هكذا يدوم عليها معها حتى تتمكن من الحضرة فحينئذ يتحد الوقت وهو الاستغراق في الشهود فلا يبقى من يحاسب ولا من يعاقب فتحصل أن المشارطة أولا والمحاسبة آخراً والمراقبة دائمًا ما دام في السير فإذا حصل الوصول فلا محاسبة ولا مشارطة.

المحبة

مـيل دائم بقلب هائم، ويظهـر هذا الميل أولا على الجـوارح الظاهرة بالخدمة، وهو مقام الأبرار، وثانيا على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية وهو مقام المريدين السالكين، وثالثا على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين من شهود المحبوب وهو مقام العارفين، فبداية المحبة ظهور أثرها بالخدمة ووسطها ظهور أثرها بالسكْر والهيام ونهايتها ظهوره بالسكون والصحو في مقام العرفان، فلهذا انقسم الناس على ثلاث مراتب: أرباب الخدمة، وأرباب الأحوال، وأرباب المقامات؛ فبدايتها سلوك وخدمة، ووسطها جذب وفناء، ونهايتها صحو وبقاء.

المشاهدة والمعاينة

المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلى تكثيف اللطيف، فإذا ترقق الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة فترجع إلى تلطيف الكثيف[١]. **فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم** والحاصل أن

---

(١) لقوله تعالى: ﴿**إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد**﴾.

وهى على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مشاهدة معرفة تجرى فوق حدود العلم فى لوائح نور الوجود منيحه بفناء الجمع. =

شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات؛ إذ لا يمكن إدراك اللطيف ما دام لطيفا فرؤية التجليات كثيفة مشاهدة وردها إلى أصلها بانطباق بحر الأحدية عليها معاينة وقيل هما سواء.

المعرفة

وهي التمكن من المشاهدة واتصالها، فهي شهود دائم بقلب هائم فلا يشهد إلا مولاه ولا يعرج على أحد سواه مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة(١).

ثم نرجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها بداية ونهاية، منها:-

التقوىٰ

وهي امتثال الأوامر واجتناب المناكر في الظواهر والسرائر ومواصلة

=

الدرجة الثانية: مشاهدة معاينة تقطع حبال الشواهد وتلبس نعوت القدس وتخرس ألسنة الإشارات.

الدرجة الثالثة: مشاهدة جمع تجذب إلى عين الجمع مالكه لصحة الوارد راكبه ابصر الوجود «التمكين فى شرح منازل السائرين».

(١) **للصوفية أقوال كثيرة فى المعرفة**:

يقول الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله: من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيئته.

ويقول: المعرفة توجب السكينة فى القلب كما أن العلم يوجُب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته.

قال تعالى: ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق** ﴾.

الطاعات والإعراض عن المخالفات(١)؛ فتقوى العامة اجتناب الذنوب، وتقوى الخاصة التخلي من العيوب، وتقوى خاصة الخاصة الغيبة عن السوى بالعكوف في حضرة عالم الغيوب.

الاستقامة

استعمال العلم بأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وأفعاله وأحواله وأخلاقه، من غير تعمق ولا تأنق ولا ميل مع أوهام الوسواس أو الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات، أو القيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق فى جميع الحالات وهي في الأقوال بترك الغيبة وفي الأفعال بترك البدعة وفي الأحوال بعدم الخروج عن سنن الشريعة(٢). **فاستقامة العامة:**

---

(١) ومن الآيات والأحاديث التى تدل عليها:

قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [سورة آل عمران آية ١٠٢].

وقوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ [سورة الحشر آية ١٨].

وقوله ﴿**هو أهل التقوى وأهل المغفرة**﴾ [سورة المدثر آية ٥٦].

وفى الترمذى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم – فى هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله تعالى «أنا أهل التقوى فمن أتقانى فلم يجعل معى آلها آخر فأنا أهل أن اغفر له» الترمذى ج٥ ٣٠٢٤.

(٢) **الإستقامة**: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما فى حالته ضاع سعيه وخاب جهده.

ومن آياتها وأحاديثها:

قوله تعالى: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ [سورة فصلت آية ٣٠].

وقوله صلى الله عليه وسلم: استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير دينكم الصلاة ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن. [أخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى السنن]. =

بموافقة السنة، **واستقامة الخاصة**: بالتخلق بالأخلاق النبوية، **واستقامة خاصة الخاصة**: بالتخلق بأخلاق الرحمن مع الاستغراق في حضرة العيان.

الإخلاص

إخراج الخلق عن معاملة الحق، وإفراد الحق تعالى فى الطاعة بالقصد أو غيبة القلب عن غير الرب(١)، فإخلاص العامة تصفية الأعمال عن ملاحظة المخلوقين. وإخلاص الخاصة تصفيتها عن طلب العوض في الدارين. وإخلاص

يقول الأستاذ أبا على الدقائق رحمه الله: الاستقامة لها ثلاثة مدارج:

أولها: التقويم، ثم الإقامة، ثم الاستقامة. فالتقويم من حيث تأديب النفوس.

والإقامة: من حيث تهذيبُ القلوب.

والاستقامة: من حيث تقريب الأسرار.

وقال: أن الإستقامة: توجب دوام الكرامات لقوله تعالى ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**﴾ [سورة الجن آية ١٦].

وقيل الإستقامة فى الأقوال: بترك الغيبة وفى الأفعال: بنفى البدعة، وفى الأعمال بنفى الفترة (أى الفتور)، وفى الأحوال بنفى الحجبه.

(١) لقوله تعالى: ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾ [سورة الزمر آية ٣] وقول المولى عز وجل فى الحديث القدسى الإخلاص سر من أسرارى استودعُته قلب من أحببته من عبادى.

ومن أقوال الصوفية فى الإخلاص:

الأستاذ أبا على الدقاق: الإخلاص: التوفى عن ملاحظة الخلق، والصدق: التنقى من مطالعة النفس فالمخلص لا رياء له، والصادق: لا إعجاب له.

ذو النون المصرى: الإخلاص: لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومه عليه.

وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

خاصة الخاصة التبرِّى من الحول والقوة ومن رؤية الغير في القصد والحركة حتى يكون العمل بالله ومن الله وإلى الله غائبًا عن ما سواه.

الصدق

إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى تعويلا على ثلج اليقين أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال أو ملازمة الكتمان غيرة عن أسرار الرحمن، وحاصله تصفية الباطن من الالتفات إلى الغير بالكلية والفرق بينه وبين الإخلاص أن الإخلاص ينفي الشرك الجلي والخفي، والصدق ينفي النفاق والمداهنة بالكلية فمثال الصدق مع الإخلاص كالتشحرة(١) للذهب(٢) فهو ينفى عنه عوارض النفاق ويصَفِّيه من كدورة الأوهام وذلك أن صاحب الإخلاص لا يخلو من مداهنة النفس ومسامحة الهوى بخلاف صاحب الصدق فإنه يذهب المداهنات ويرفع المسامحات؛ إذ لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره فيما دق أو جَل، وعلامة الصدق استواء السر والعلانية فلا يبالي صاحب الصدق بكشف ما يكره اطلاع الناس عليه ولا يستحي من ظهوره لغيره واكتفاءً بعلم الله به، فصدق العامة تصفية الأعمال من طلب الأعواض، وصدق الخاصة تصفية الأحوال من قصد غير الله، وصدق خاصة الخاصة تصفية مشرب التوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله. ويقال لصاحب المقام الأول صادق والثاني والثالث صديق(٣).

---

(١) أى التصفية والتخلص مما يخالطه من أنواع المعادن وهى كلمة مغربية عاميه.

(٢) وفى نسخة بترك.

(٣) الآيات والأحاديث التى تدل عليه:

قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ سورة التوبة آية (١١٩).

وقوله ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين** ﴾ [البقرة: ١٥٣].

=

وأما التصديق بوجود الحق أو بوجود الخصوصية عند الأولياء وتعظيمهم لأجلها فهو تصديق لا صدق خلاف ما يعتقده بعض فقراء زماننا هذا ويقال لمن عظم تصديقه صديق أيضًا فالصديق يطلق على من عظم صدقه وتصديقه(١).

الطمأنينة

وهي سكون القلب إلى الله عاريًا عن التقلب والاضطراب ثقة بضمان أو اكتفاءً بعلمه أو رسوخًا في معرفته وتكون من وراء الحجاب بتواتر الأدلة واستعمال الفكرة أو بتوالي الطاعة ومجاهدة الرياضة وتكون بعد زوال الحجاب بتمكين النظرة ورسوخ المعرفة، فقوم اطمأنوا بوجود الله من طريق البرهان أو البيان وقوم اطمأنوا بشهود الله بعد ظهوره من طريق العيان فالأول للعلماء، والثاني للعبَّاد والزهاد والصالحين، والثالث للعارفين المتقربين(٢).

=

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عن الله كذابًا». (رواه البخارى ومسلم بنحوه).

(١) والصدِّيق: هو الدائم التصديق.

(٢) لقوله تعالى ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة أرجعى إلى ربك راضية مرضية**﴾.

وهى ثلاث درجات:

١- طمأنينة القلب بذكر الله وهى طمأنينة الخائف إلى الرجاء والضجر إلى الحلم والمبتلى إلى المثوبه.

٢- طمأنينة الروح فى القصد إلى الكشف وفى الشوق إلى العدة وفى التفرقة إلى الجمع.

٣- طمأنينة شهود الحضرة إلى اللطف وطمأنينة الجمع إلى البقاء وطمأنينة المقام إلى نور الأزل.

الشـوق والاشـتياق

الشوق إنزاع القلب إلى لقاء الحبيب والاشتياق ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به[١] فالشوق يزول برؤية الحبيب ولقائه والاشتياق لا يزول أبداً لطلب الروح الزيادة في كشف الأسرار والقرب إلى الأبد. فشوق العامة إلى زخارف جنانه وشوق الخاصة إلى نيل رضوانه وشوق خاصة الخاصة إلى حضرة عيانه.

الغـيرة

كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيج التنافس في حيازته.

قال الشبلي[٢]: الغيرة غيرتان فغيرة البشرية على النفوس وغيره إلهية على القلوب. ومعناه أن الطبع البشرى يكره أن يرى محبوبه عند غيره كالزوجة مثلا، والحق تعالى يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره وفي الحديث.. «**لا أحد أغير من الله ولذلك حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما**

---

(١) يقول الإمام الطوسى رحمه الله: الشوق: هو عبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه.

ويقول الإمام القشيرى: «الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر يكون الشوق».

(٢) هو أبو بكر بن جحدر الشبلى. بغدادى المولد والمنشأ وأصله من أسر وشنه» صحب الجنيد ومن في عصره وكان شيخ وقته: حالا وظرفًا، وعلمًا. مالكى المذهب، عاش سبعًا وثمانين سنةً.

من حكمه: ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق.

وقال: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا فانظر إلى نفسك، فخذ كفا من تراب فإنك منه خلقت وفيه تعود. توفى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. وقبره ببغداد.

بطن»(١) وما في الوجود إلا الغيرة الإلهية سرت في مظاهر تجلياته فغيرة النفوس للعامة وهي غيرتهم على هتك حرمة حريمهم وغيرة القلوب للخاصة وهي غيرتهم على قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم، وغيره الأرواح والأسرار لخاصة الخاصة، وهي غيرتهم على أرواحهم أن تلتفت إلى شيء دون محبوبهم وغيرتهم على حبيبهم أن يميل إلى غيرهم وعلى هذا الأمر العظيم حق للعبد أن يغار كما قال الشاعر:

إذا لم أنافس في هواك ولم أغر   عليك ففيمن ليت شعري أنافس
فلا تمقتن نفسي فأنت حبيبها   فكل امرئ يصبو إلى من يجانس

وقد يغار الحق تعالى على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا آذوهم ومن غيرته أيضا عليهم أن لا يظهرهم لجملة الخلق فيضن بهم على خلقه حتى يلقوه تحت أستار الخمول وهم عرائس حضرته.

الفتوة

وهي الإيثار على النفس بما تحب والإحسان إلى الخلق بما يحب ولذا قيل لم تكمل الفتوة إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) حيث يقول في موضع

---

(١) من حديث رواه ابن مسعود وخرجه البخارى ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذى وتمامه ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه ولا أحد أحب إليه العذر من الله. من ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل (ح ق ت - عن ابن مسعود) من الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهانى.

(٢) أصل الفتوة أن يكون العبد ساعيًا أبداً فى أمر غيره وقيل هى: ملكه فى الشخص تحمل على البذل والجود بل تقتضى قوة الإيثار «العروسى».

قال تعالى: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ [سورة الكهف آية ١٣].

قال ﷺ: «لا يزال الله تعالى فى حاجة العبد ما دام العبد فى حاجة أخيه المسلم».

قال الترمذى: الفتوة: أن تكون خصمًا لربك على نفسك.

لا يذكر فيه أحد إلا نفسه: أمتي أمتي: وقيل أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك: والفتى من لا خصم له: ومرجعها إلى السخاء والتواضع والشجاعة في مواطن الاضطراب ففتوة العامة بالأموال وفتوة الخاصة بالنفوس وفتوة خاصة الخاصة بالأرواح وبذل المهج في جانب المحبوب.

الإرادة

وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة أو التحبب إلى الله بما يرضى، والخلوص في نصيحة الأمة والأنس بالخلوة والصبر على مقاساة الأهوال ومنازلات الأحوال والإيثار لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل إليه وصحبة من يدل عليه والقناعة بالخمول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول وهي أول منزلة القاصدين وبدء طريق السالكين(١).

المريد

من لا إرادة له دون مولاه(٢)؛ وهي ثلاث مراتب: إرادة التبرك والحرمة

---

(١) لقوله تعالى: ﴿**ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه الله**﴾ [سورة الانعام آية ٥٢]

وعن أنس رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، فقيل له: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت» [رواه أحمد فى مسنده وابن حبان والحاكم].

(٢) **هذا هو تعريف المريد**:

والتعريف كاملاً: من لا إرادة له فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً، كما أن من لا إرادة له، على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً.

وهناك فرق بين المريد والمراد: فكلٌ مريد على الحقيقة.

مراد إذ لو لم يكن مراد الله تعالى بأن يريده لم يكن مريداً إذ لا يكون إلا ما أراده الله =

وهي لمن ضعفت همته أو كثرت علائقه وإرادة الوصول إلى الحضرة وهى لأهل التجريد وقوة العزم وإرادة الخلافة وكمال المعرفة وهي لمن ظهرت نجابته وكملت أهليته وصرح له بالخلافة من شيخ كامل أو هاتف صادق .

المجاهـــدة

وهي فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها فى عموم الأوقات وخرق عوائدها في جميع الحالات(١) . قال بعضهم مرجعها إلى ثلاث لا تأكل إلا عند الفاقة ولا تنام إلا عند الغلبة ولا تتكلم إلا عند الضرورة ونهايتها المشاهدة فلا مجاهدة بعدها فلا تجتمع مجاهدة ومشاهدة؛ إذ نهاية التعب تمام السفر، فإذا حصل الوصول فما بقي إلا الراحة، ومشاهدة الحبيب مع حفظ الأدب وهي ثلاثة : مجاهدة الظاهر بدوام الطاعات وكف المنهيات ومجاهدة البواطن بنفي الخواطر الرديئة ودوام الحضور في الحضرة القدسية ومجاهدة السرائر باستدامة الشهود وعدم الالتفات إلى غير المعبود(٢) .

= تعالى، وكل مراد مريد لأنه إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد .

فالمريد عندهم هو المبتدئ، والمراد هو المنتهى والمريد : الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد : الذى كفى بالأمر من غير مشقه فالمريد متعن والمراد : مرفوق به مرفه .

وسئل الجنيد رحمه الله عند المريد والمراد فقال : المريد : تتولاه سياسة العلم .

والمراد : تتولاه رعاية الحق سبحانه لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر .

(١) هذا هو أصل المجاهدة وملاكها .

(٢) لقوله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا ، لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾ سورة العنكبوت آية ٦٩ .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد فقال : « كلمة عدل عند سلطان جائر » فدمعت عينا أبى سعيد . رواه ابن ماجه عن أبى سعيد وأحمد والطبرانى والنسائى عن غيره بلفظ كلمة حق .

الولايـــة

وهي حصول الأنس بعد المكابدة واعتناق الروح بعد المجاهدة وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حس الكائنات فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل. فأولها التمكن من الفناء ونهايتها التحقق بالبقاء وبقاء البقاء ويبقى الترقي والاتساع فيها أبدا سرمدا إلى ما لا نهاية له قال إبراهيم بن أدهم[١] لرجل: أتحب أن تكون لله وليًّا؟ قال نعم قال لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرِّغ نفسك لله عز وجل وأقبل بوجهك عليه يرفق عليك ويواليك. وقال غيره: الولي من كان همّه الله وشغله الله وفنائه دائما في الله. وتطلق على ثلاث مراتب: ولاية عامة وهي لأهل الإيمان والتقوى كما في الآية وهي قوله: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾[٢] وولاية خاصة وهي لأهل الاستشراف على العلم بالله. وولاية خاصة الخاصة وهي لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العيان. قيل مَن أولياء الله يا رسول الله؟ قال: «المتحابون في الله» وفي رواية: «الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها»[٣] الحديث فشمل الحديث ولاية الخاصة وخاصة الخاصة والله تعالى أعلم.

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن آدم بن منصور، من كورة بلخ رضي الله عنه. كان عامه دعائه: اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك. ومن كلامه رضي الله عنه من علامه العارف بالله أن يكون أكبر همه الخير والعبادة وأكثر كلامه الثناء والمدح. توفي بالجزيرة سنة اثنين وستين ومائة وحمل فدفن بصور وقبره بها مشهور.

(٢) سورة يونس الآيتان: ٦٢، ٦٣.

(٣) الرواية ليست كذلك والصحيح: قال الحواريون: يا عيسى من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. قال عيسى الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها... الخ الرواية وهي روايه طويله أخرجها أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن وهب.

الحريـــة

وهي تصفية الباطن من حب غير الحق حتى لا تبقى فيه بقية لغير الله وهذه الحرية الكسبية وهي سبب الظفر بالحرية الوهبية وهي غيبة العبد في مظاهر الرب فتنتفي ظلمة الحدوث في نور القدم وتختفي قوالب العبودية في تجلي مظاهر الربوبية، فيبقى الحق بلا خلق فحينئذ يكتب للعبد عقد الحرية فتكون عبادته وعبوديته شكرًا لا قهرًا[١] كما قال سيد العارفين صلى الله عليه وسلم «**أفلا أكون عبداً شكوراً**»[٢] وقال إمام هذه الطائفة الجنيد: عبادة العارف تاج على الرؤوس يعنى كمال الكمال.

العبوديـــة

وهي القيام بآداب الربوبية مع شهود ضعف البشرية[٣] وقال بعضهم هي

---

(١) **يقول الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله**: من دخل الدنيا وهو عنها حُرار تحل إلى الآخرة وهو عنها حُر.

والحرية: أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجرى عليه سلطان المكونات.

وعلامه صحته: سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض.

والمراد أن لا يفرق بين نفيس وخسيس فى خاطره.

(٢) متفق عليه، وتمام الحديث أن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له لمَ تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبدا شكوراً».

(٣) **العبودية**: أن تكون أنت عبده فى كل حال كما أنه ربك فى كل حال.

بمعنى أن تترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار. هى كالخدمة لهذا المقام.

والدليل على أن العبودية أشرف مقام فى قول الله تعالى: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**﴾ سورة الأسراء آية (١).

﴿**وما أنزلنا على عبدنا**﴾ سورة الأنفال آية (٤١).

﴿**كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا**﴾ سورة مريم آية (١، ٢).

القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير أو ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار أو التبرِّي من الحول والقوة والإقرار بما يوليك ويعطيك من المنة وأجمع العبارات فيها **ما قال ابن عطاء**(١): حفظ الحدود والوفاء بالعهود والرضا بالموجود والصبر على المفقود.

قلت وأحسن ما في تفسير العبودية أن تقدر أن لك عبداً اشتريته بمالك فكما تحب أن يكون عبدك معك فكن أنت مع مولاك؛ فالعبد لا يملك مع سيده شيئًا من نفسه ولا ماله ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار ولا يتزيَّى إلا بزي العبيد أهل الخدمة ويكون عند أمر سيده ونهيه وإذا كان حاذقا فاهما عمل ما يرضي سيده قبل أن يأمره ويفهم عن سيده بأدنى إشارة إلى غير ذلك من الآداب المرضية في العبيد المؤدبين.

وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: العبودية أتم من العبادة؛ فأول المراتب عبادة ثم عبودية ثم عبودة. فالعبادة للعوام والعبودية للخواص والعبودة لخواص الخواص. قلت والعبودة هي الحرية الوهبية والله تعالى أعلم.

(١) ابن عطاء السكندرى: أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن، بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامى نسبا، المالكى مذهبا الإسكندرى دارًا، القاهرى مزار الصوفى حقيقة، الشاذلى طريقة يقول عنه صاحب الديباج المذهب.

كان جامعًا لأنواع العلوم من تفسير، وحديث، وفقه ونحو وأصول وغير ذلك.

وكان رحمه الله متكلما على طريق أهل التصوف، واعظا انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقة» أ.هـ

توفى في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة.

القناعـــة(١)

الاكتفاء بالقسمة وعدم التشوف(٢) للزيادة والاستغناء بالموجود وترك التشوف إلى المفقود وهي الحياة الطيبة والرزق الحسن في قوله تعالى: ﴿ لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾(٣).

أي والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتل بعضهم أو مات ليرزقنَّ الله من بقي منهم رزقا حسنًا؛ وهي من ثمرة الغنى بالله.

قال وهب بن منبِّه(٤): إن العز والغنى خرجا يجولان فلقيا القناعة فاستقرا فيها ومرجعها إلى سد باب الطمع وفتح باب الورع وهي مطلوبة في أمور الدنيا فقط، وأما في أمور الآخرة أو في زيادة العلم والترقي في المعرفة فمذمومة ولذلك قيل القناعة من الله حرمان(٥).

---

(١) يقول الترمذي: القناعة: رضا النفس بما قسم لها من رزق ويقال هي: الاكتفاء بالموجود، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل.

(٢) التشوف: أى التطلع والتشوق.

(٣) سورة الحج الآية: ٥٨.

(٤) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن سيج بن ذى كناز اليمانى الصنعانى صاحب القصص، من خيار علماء التابعين. أصل والد منبه من خراسان من أهل هراة أخرجه كسرى منها إلى اليمن، وتولى قضاء صنعاء. ولد سنة ٣٤ هـ في خلافة عثمان بن عفان وتوفى سنة ١١٠هـ.

(٥) فإن قيل ترك المؤلف فى القناعة ما اعتاده من التقسيم بداية ووسطا ونهاية فاقول التقسيم هنا يؤخذ من كلامه بطريق الإشارة فلم يترك المؤلف ما اعتاده وذلك بأن يقال:

قناعة العامة الاكتفاء بالقسمة من رزق الأشباح وقناعة الخاصة الاكتفاء برزق الأرواح عن رزق الأشباح وقناعة خاصة الخاصة القناعة بالله وعدم التشوف لما سواه إذ هو واجب الوجود وما سواه مفقود وأما طلب الزيادة من العلم بالله والترقى فى معرفته فمطلوب بقوله تعالى ﴿ **وقل رب زدنى علماً** ﴾.

العافيـــة

وهي سكون القلب وخلوه من الانزعاج والاضطراب والتقلب، ثم إن كان بالسكون إلى الله والرضا عنه فهي العافية الكاملة، وإن كان بجريان الأسباب الموافقة فهي العافية العادية.

وفي الحديث «**ما أُعطي أحد بعد اليقين خيراً من العافية**»(١) فعافية العامة سكونهم إلى الأسباب فإذا انخرمت اضطربت قلوبهم وتزلزلت لخرابها من نور اليقين، وعافية الخاصة سكونهم إلى مسبب الأسباب فعافيتهم دائمة وربما يزيد يقينهم إذا انخرمت الأسباب كما قال بعضهم: نحن كالنجوم كلما اشتدت الظلمة قوى نورنا.

وقال ذو النون رضي الله عنه(٢): لو كانت السماء من زجاج والأرض من نحاس ومصر كلها عيالى ما اهتممت لهم برزق. وعافية خاصة الخاصة سكونهم إلى شهود الحق غائبين عن الأسباب وعدمها غرقي في بحر التوحيد وأسرار التفريد لا تنزل الهموم بساحتهم ولا تكدِّر صفاء مشربهم جعلنا الله منهم آمين.

---

(١) رواه البزار عن سهل بن سعد بلفظ «ما أُعطى عبد أفضل من حسن اليقين والعافية، فاسألوا الله حسن اليقين والعافية».

(٢) ذو النون أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المصرى الأخميمى مولى لقريش، وكان أبوه إبراهيم نوبيا. توفى سنة خمس وأربعين ومائتين.

من كلامه:

- من علامات المحب لله متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأمره وسننه.
- إذا صح اليقين فى القلب صح الخوف فيه.
- الخوف رقيب العمل والرجاء شفيع المحن.
- اطلب الحاجة بلسان الفقر لا بلسان الحكم.

اليقـــين

وهو سكون القلب إلى الله بعلم لا يتغير ولا يحوَّل ولا يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات وارتفاع الريب في مشاهدة الغيب وعلامته ثلاث: رفع الهـمة عن الخلق عن الحاجة وترك المدح لهم في العطية والتنزه عن ذمهم عند المنعة فيقين العامة بتوحيد أفعاله فسكنوا إليه في المنع والعطاء ويقين الخاصة بتوحيد صفاته فرأوا الخلق موتى ليس بيدهم حركة ولا سكون، ويقين خاصة الخاصة بتوحيد ذاته فشاهدوه في كل شيء وعرفوه عند كل شيء ولم يشهدوا معه شيئًا.

علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

علم اليقين: ما كان ناشئًا عن البرهان. **وعين اليقين**: ما نشأ عن الكشف والبيان. **وحق اليقين**: ما نشأ عن الشهود والعيان، فعلم اليقين لأرباب العقول من أهل الإيمان. **وعين اليقين** لأرباب الوجدان من أهل الاستشراف على العيان، **وحق اليقين** لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان[١]. ومثال ذلك كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها فعنده علم اليقين

---

(١) هذه عبارات من علوم جليه.

فاليقين: هو العلم الذى لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف. ولا يطلق فى وصف الحق تعالى لعدم التوقيف.

فعلم اليقين هو اليقين، وكذلك عين اليقين: نفس اليقين وحق اليقين: نفس اليقين.

فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان.

وعين اليقين ما كان بحكم البيان.

وحق اليقين ما كان بنعت العيان.

فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم وحق اليقين لأصحاب المعارف.

بوجودها، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين، فإذا دخلها وعرف طرقها وأماكنها فهذا عنده حق اليقين: وكذلك الناس في معرفة الحق تعالى فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم اليقيني بوجود الحق وأهل السير من المريدين المستشرفين على الفناء في الذات حصل لهم عين اليقين حين أشرقت عليهم أنوار المعاني وغابت عنهم ظلال الأواني غير أنهم باقون في دهشة الفناء لم يتمكنوا من دوام شهود الحق فإذا تمكنوا من دوام شهوده ورسخت أقدامهم في معرفته حصل لهم حق اليقين وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين.

النعمة

هي ملازمة الأفراح ومباعدة الأتراح وإصابة الأغراض ونزاهة الأعراض وهي على قسمين: نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال، ونعمة باطنة: كالإيمان والهداية والمعرفة، والناس في النعمة الظاهرة على ثلاثة أقسام قوم فرحوا بالنعمة لما لهم فيها من المتعة فحجبوا بها عن المنعم وقوم فرحوا بالنعمة لإقبال المنعم عليهم حيث ذكرهم بها، وقوم فرحوا بالمنعم دون شيء سواه قال الله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ** ﴾[1] فشكر الأولين يزيد بزيادتها ويزول بزوالها وشكر الثالث دائم في السراء والضراء وهذا هو شكر الخواص.

الفراسة

وهي خاطر يهجم على القلب أو وارد يتجلى فيه لا يخطيء غالبا إذا صفا القلب.

---

(١) سورة الأنعام آية (٩١).

وفي الحديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»[١] وهي على حسب قوة القرب والمعرفة فكلما قوي القرب وتمكنت المعرفة صدقت الفراسة لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجلى فيها غالبا إلا الحق وهي ثلاث مراتب: فراسة العامة وهي كشف ما في ضمائر الناس وما غاب من أحوالهم وهي فتنة في حق من لم يتخلق بأخلاق الرحمن، وفراسة الخاصة وهي كشف أسرار المقامات والمنازلات والاطلاع على أنوار الملكوت، وفراسة خاصة الخاصة وهي كشف أسرار الذات وأنوار الصفات والغرق في بحر أسرار الجبروت.

وقال الكتاني[٢]: هي مكاشفة الحق ومعاينة الغيب.

وقال الواسطي[٣]: هي سواطع أنوار الذات وتمكين جملة السرائر في

---

(١) أخرجه البخارى فى التاريخ والترمذى عن أبى سعيد والطبرانى فى المعجم الكبير، وابن عدى فى الكامل عن أبى أمامه وابن جرير عن ابن عمر.

(٢) هو أبو بكر محمد بن على بن جعفر الكتانى كنيته: أبو عبدالله. أصله بغداد. كان أحد الأئمة حكى عن أبى محمد المرتعش أنه كان يقول «الكتانى سراج الحرم».

من كلامه:

- إذا سألت الله التوفيق فابدأ بالعمل.
- الشكر فى موضع الاستغفار ذنب، والاستغفار فى موضع الشكر ذنب.

توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

(٣) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطى. أصله من فرغانه وكان يعرف بابن الفرغانى من قدماء أصحاب الجنيد وهو من علماء مشايخ القوم. لم يتكلم أحد فى أصول التصوف مثل ما تكلم هو، وكان عالمًا بالأصول وعلوم الظاهر.

من كلامه:

- شاهده بمشاهدة الحق إياك ولا تشهده بمشاهدتك له.
- أفقر الفقراء من ستر الحق حقيقه حقه عنه.
- الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب.

توفى: بمرو بعد العشرين وثلاثمائة.

الغيوب من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق إياها فيتكلم على ضمائر الخلق قلت قوله فيتكلم ليس بشرط في فراسة الخاصة والله تعالى أعلم.

الخلــــق

وهي ملكة تصدر عنه الأفعال بسهولة ثم إن كانت الأفعال حسنة كالحلم والعفو والجود ونحوها سمي خُلقًا حسنا وإن كانت سيئة كالغضب والعجلة والبخل سمي خُلقًا سيئًا.

قال وهب: ما تخلَّق عبد بخلق أربعين صباحا إلا جعل الله له ذلك طبيعة فيه فالخلق الحسن يكتسب والسيِّيء يُجاهد حتى يـــزول، والخـــلق الحسن يعدل الصيام والقيام وهـــو ثمرة التصوف فمن لم يحسِّن خلقه فتصوفه أشجار بلا ثمار ومرجع حسن الخلق أن لا تغضَب ولا تُغضِب ولا تبخل ولا تحقد[1] وبالله التوفيق.

الجود والسخاء والإيثار

فالجود: أن لا يصعب عليه البذل فمن أعطى البعض وأبقى الأكثر فصاحب سخاء، ومن بذل الأكثر فصاحب جود ومن قاسى الضراء وآثر غيره

---

(١) ترك المؤلف فـي الخلق ما اعتاده من التقسيم بدايـة ووسـطا ونهاية ويمـكن أن يؤخذ من كلامه بطريق الإشارة فالخـلق الحسن المكتسب والسيء المطـلوب زواله بالمجاهدة تخلق فهو للعامة تخلق تكليفى كسى مع الخلق وإليه الإشارة بقوله قال وهب ما تخلق عبد بخلق الخ وعند الخاصة هو المشار إليه بقول يصير ملكه تصـدر عنـه الأفعال بسهولة وبقوله إلا جعل إليه ذلك طبيعة فيه، وعند خاصة الخاصة فهو عبارة عـن دوام الشهود ومعاملة المعبود وإليه الإشارة بقوله: والخلق الحسن يعدل الصيام والقيام وهو ثمرة التصوف.

فصاحب إيثار[١]، فجود العامة بالأموال وجود الخاصة بالنفوس وجود خاصة الخاصة بالأرواح يبذلونها للموت بالمجاهدة ثم تحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة.

الفقـــر

وهو نفض اليد من الدنيا وصيانة القلب من إظهار الشكوى، ونعت الفقير الصادق[٢] ثلاثة أشياء: صيانة فقره وحفظ سره وإقامة دينه.

وقال جعفر الخلدي[٣]: خدمت ستمائة شيخ فما وجدت من شفى

---

(١) لقوله تعالى: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾ [سورة الحشر آية ٩]

خصاصة: فقر وحاجه.

السخي: قريب من الله تعالى، قريب من الناس قريب من الجنة، بعيد من النار.

والبخيل: بعيد من الله تعالى، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار.

والجاهل السخي أحب إلى الله تعالى من العابد للبخيل.

الإيثار: أن يقدم غيره على نفسه في النفع له، والدافع عنه وهو النهاية في الأخوة.

(٢) **الفقراء**: شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقياء والأنبياء.

والفقراء: صفوة الله عز وجل من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحق الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق. والفقراء جلساء الله تعالى يوم القيامة.

(٣) هو أبو محمد بن جعفر بن محمد بن نصير الخواص الخلدي، بغدادي المولد والمنشأ.

كان من أفتى المشايخ وأجلهم، وأحسنهم قولا حج قريبا من ستين حجة.

من كلامه:

- الفتوة احتقار النفس وتعظيم حرمة المسلمين.
- كن لله عبدا خالصا تكن عن الأخيار حرا.
- الفرق بين الرياء والإخلاص أن المرائي يعمل ليرى، والمخلص يعمل ليصل.

توفي ببغداد سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وقبره بالشونيزية عند قبر سري السقطي والجنيد.

قلبي من أربع مسائل حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي سل عن مسائلك **فقلت يا رسول الله ما العقل**؟ فقال أدناه ترك الدنيا وأعلاه ترك التفكر في ذات الله. **فقلت وما التوحيد**؟ فقال كل ما أتى به الوهم أو جلاه الفهم فربنا جل وعز مخالف لذلك. **فقلت وما التصوف**؟ فقال: ترك الدعاوى وكتمان المعانى. **فقلت وما الفقر**؟ فقال: هو سر من أسرار الله يودعه فيمن يشاء من عباده فمن كتمه فهو من أهله وزاده الله منه ومن باح[١] به نفاه الله عنه، قلت جواب كل إنسان على قدر مقامه كما قال عليه الصلاة والسلام: «**خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون**»[٢] فقوله عليه الصلاة والسلام في العقل أعلاه ترك التفكر في ذات الله، أما التفكر في كنه الربوبية فمنهي عنه إذ لا يدرك وأما التفكر في أسرار الربوبية وأنوار صفاتها فلا عبادة أعظم منها وقوله أيضا عليه الصلاة والسلام في التوحيد كل ما أتى به الوهم إلخ الوهم لا يدرك إلاحس الكائنات فهو قصير والفهم بلا ذوق لا يدرك أسرار التوحيد لأنها خارجة عن الوهم ودرك العقل، فظهر معنى قوله

---

(١) أى أفتناه وأخبر به.

(٢) هذا الحديث روى بلفظ آخر «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» وهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم فى الرواية، وليس هو فى شيء من كتبهم.

وروى الديلمى بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعا وفى اللآلى بعد غزوه لمسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعًا قال وفى اسناده ضعيف ومجهول ولفظه «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم».

ورواه أبو الحسن التيمى من الحنابلة فى العقل له عن ابن عباس من طريق أبى عبد الرحمن السلمى أيضا بلفظ: «بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم وله شاهد عن سعيد بن المسيب مرسل بلفظ: «أنا معشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم».

ورواه العقيلى فى الضعفاء، وابن السنى، وأبو نعيم فى الرياضة وغيرهم عن ابن عباس. مرفوعًا: «ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم».

عليه الصلاة والسلام كل ما أتى به الوهم إلخ، وقوله عليه الصلاة والسلام في شأن الفقر من كتمه فهو من أهله: أي فيكون من السابقين ويزيده تعالى من أسراره وأنواره وهي حلاوة المعاملة والمعرفة: يحكى عن أبي علي الدقاق أنه جلس يوما مع بعض أصحابه فكانت منه غفلة حتى شكى ضيق حاله فلما تفرق أصحابه نام بعضهم فهتف به هاتف وقال بالله أبلغ أبا عبدالله الدقاق ما أقول لك ثم أنشد:

قل للرويجل[1] من ذوي الأقدار — الفقر أفضل شيمة الأحرار

يا من شكا للخَلق فعلة ربه — هلاَّ شكوت تحمل الأوزار

إن الذي أُلبست من حُلل التقى — لو شاء ربك كنت عنها عَار

الذكــــر

وهو إذا أطلق ينصرف لذكر اللسان، وهو ركن قوي في طريق الوصول وهو منشور الولاية[2]، فمن أُلهم الذكر فقد أعطى المنشور[3] ومن سلب الذكر فقد عزل فذكر العامة باللسان وذكر الخاصة بالجنان وذكر

---

(١) تصغير «رَجُل» رُجيل ورويجل والغرض منه التوبيخ.

(٢) لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً** ﴾ «سورة الأحزاب آية ٤٠».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخبير من إعطاء الذهب والوق وأن تلفوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا: ماذاك يا رسول الله، قال: ذكر الله تعالى.

(٣) المنشور: هو ما يكتب لمن ولي ولاية على جهة من الجهات ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم.

والمراد أن الذكر يشهد الذاكر بالولاية كما يشهد المنشور للوالي بولايته على القوم.

خاصة الخاصة بالروح، والسر وهو الشهود والعيان فيذكر الله عند كل شيء وعلى كل شيء أي يعرف الله فيه وهنا يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العيان ويعد ذكر اللسان في هذا المقام ضعفاً وبطالة كما قال القائل:

ما إن ذكرتك اللهم يلعنني ... سري وقلبي وروحي عند ذكراك

حتى كأن رقيبًا منك يهتف بي ... إياك ويحك والتذكار إياك

أمَا ترى الحق قد لاحت شواهده ... وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطي مشيرًا لهذا المقام: الذاكرون في ذكره أشد غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواه.

الوقت

قد يطلقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط أو حزن أو سرور. **قال أبو علي الدقاق**: الوقت ما أنت به في الحال فإن كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى يريد أن الوقت ما كان الغالب على الإنسان وقد يعنون به الزمان الذي بين الماضي والمستقبل يقولون: الصوفي ابن وقته: يريدون أنه مشتغل بما هو أولى به في الوقت لا يدبِّر في مستقبل ولا ماض بل يهمه ما هو فيه وكل وقت له آداب تطلب فيه فمن أخلَّ بآدابه مقته ولذلك قيل الوقت كالسيف فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم[١] وملاينته القيام بآدابه، فوقت القهرية آدابه الرضى والتسليم تحت مجاري الأقدار، ووقت النعمة آدابه الشكر، ووقت الطاعة آدابه شهود المنة من الله ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة.

---

(١) اصطلم: استؤصل.

الحال والمقام

الحال معنى يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ولا تسبب ولا اكتساب من بَسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو اهتياج[١] ويظهر آثاره على الجوارح قبل التمكن من شطح ورقص وسير وهيام وهو أثر المحبة لأنها تحرك الساكن أولا ثم تسكن وتطمئن؛ ولذا قيل فيها: أولها جنون ووسطها فنون وآخرها سكون، وقد يكتسب الحال بنوع تعمل كحضور حلق الذكر واستعمال السماع وقد يطلب اكتسابه بخرق عوائد النفس حين يعتريها برودة وفتور وفرق وكسل فينبغي أن يتحرك في تسخينها بما يثقل عليها من خرق العوائد وقد يطلق الحال على المقام فيقال فلان صار عنده الشهود مثلا حالا ومنه قول المجذوب:

حققت ما وجدت غيره وأمسيت في الحال هاني

وأما المقام فهو ما يتحققه العبد بمنازلة واجتهاد من الأدب وما يتمكن فيه من مقامات اليقين بتكسب وتطلب، فمقام كل واحد موضع إقامته[٢] فالمقامات تكون أولا أحوالا حيث لا يتمكن المريد منها لأنها تتحول ثم تصير مقامات بعد التمكين كالتوبة مثلا تحصل ثم تنقص[٣] حتى تصير مقاما وهي التوبة النصوح وهكذا بقية المقامات وشرطه أن لا يرتقي مقاما حتى يستوفى أحكامه فمن لا توبة له لا تصح له إنابة ومن لا إنابة له لا تصح له استقامة ومن

---

(١) مصدر اهتاج يقال هاج أو اهتاج أو تهيج الشيء ثار وبابه باع.

(٢) أى عند الكتابه ما يوصل إليه. قال الإمام الغزالى: لا بد كل مقام من علم، وعمل، وحال، فالمقام يثمر علمًا، والعمل يثمر حالاً، لأن حركات الأجسام تابعة لحركات القلوب، وحركات القلوب جارية بحركات الأجسام.

(٣) أى بمعنى تنقضى.

لا ورع له لا يصح له زهد وهكذا وقد يتحقق المقام الأول بالثاني إذا ترقى عنه قبل إحكامه إن كان له شيخ كامل وقد يطوى عنه المقامات ويدسه إلى الفناء إن رآه أهلا يتوقد قريحته ورقة فطنته فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، هذا معنى المقام بفتح الميم وأما المقام بالضم فمعناه الإقامة ولا يكمل لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الحق تعالى فيه وفي الحكم من علامات النجاح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية وقال أيضا من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته.

القبض والبسط

وهما حالتان بعد الترقي من حال الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للطالب والبسط للعارف[١] بمنزلة الرجاء للمريد. والفرق بين القبض والخوف وبين الرجاء والبسط أن الخوف متعلقه مستقبل، إما فوات محبوب أو هجوم محذور بخلاف القبض فإنه معنى يحصل في القلب إما بسبب أو لا. وكذلك الرجاء يكون لانتظار محبوب في المستقبل. والبسط شيء موهوب يحصل في الوقت. فحقيقة القبض انكماش وضيق يحصل في القلب يوجب السكون والهدوء والبسط انطلاق وانشراح للقلب يوجب التحرك والانبساط ولكل واحد آداب مذكورة في المطولات.

الخواطر والواردات

الخواطر خطابات ترد على القلوب تكون بإلقاء ملك أو شيطان أو حديث نفس، فإن كان من الملك فإلهام أو من الشيطان فوسواس[٢] أو من

---

(١) أى للمبتدىء خوفه.

(٢) لأن التمييز بينهما إنما يقع بدقيق النظر فى الأحكام وكمل العلم بالحلال والحرام.

النفس فهواجس، فما وافق الحق ودعا إلى اتباعه فمن الملك، وما وافق الباطل أو دعا إلى معصية غالبا فمن الشيطان وقد يدعو إلى الطاعة حيث يترتب عليها معصية كالرياء وحب المدح. وما دعا إلى اتباع الشهوة والدعة أي الراحة فمن النفس. قال أبو علي الدقاق من أكل الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس وكذلك من كان قوته معلوما(٣). وفرق الجنيّد بين هواجس النفس ووسواس الشيطان بان ما دعت إليه النفس لا تنتقل عنه بل تعاوده مرة بعد مرة إلا بعد مجاهدة كبيرة ووسواس الشيطان ينتقل عنها فإذا خالفته في مَعصية انتقل لأخرى وربما ذهب بالتعوذ ونحوه ولذلك كانت النفس أخبث من سبعين شيطانا، وأما الواردات فهي ما يرد على القلوب من التجليات القوية أو الخواطر المحمودة بما لا يكون للعبد فيه تكسُّب والفرق بين الخواطر والواردات أن الواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع أو ما يتضمن معناه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط ووارد شوق ووارد خوف إلى غير ذلك من المعاني(٢)، وقد يختطفه عن شاهد حسه وهو قريب من الحال وقد يأتي الوارد بكشف غيب فيجب تصديقه إن صفا القلب من كدورة الخواطر والله تعالى أعلم.

النفس والروح والسر

النفس عند القوم عبارة عما يذم من أفعال العبد وأخلاقه فالأول ما كان من كسب العبد كمعاصيه ومخالفته والثاني ما كان من جبلته وطبيعته

---

(١) أبى معينا من جهة ما إذا اطمأن له واعتمد عليه.

(٢) يقول الشيخ العروسي: ذلك باعتبار حال السالك أما العارف: فهو دائمًا فى حال جمع الحقيقة لا إحساس له بشيء من سرور أو حزن فحينئذ يكون وارد السرور وضده من واردات العلم لا من وارد الحق.

كالكبر والحسد والغضب وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق الذميمة ينسب للنفس أدبا مع الحق[١] والروح عبارة عن محل التجليات الإلهية وكشف الأنوار الملكوتية والسر عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية؛ فالنفس للعوام والروح للخواص والسر لخواص الخواص النفس لأهل عالم الملك، والروح لأهل عالم الملكوت والسر لأهل عالم الجبروت وسيأتى حقائقها وهل النفس والروح والسر متعددات في نفسها أو متحدة وإنما تختلف التسمية باختلاف التصفية؟ **قال بعضهم** النفس لطيفة مودعة في هذا القالب وهي محل الأخلاق المعلولة[٢] كما أن الروح لطيفة مودعة في هذا القالب وهي محل الأخلاق المحمودة ومحلهما واحد وهو الإنسان، فالنفس والروح من الأجساد اللطيفة كالملائكة والشياطين وهما ساكنان في الإنسان فكما أن البصر محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم من ذات واحدة فكذلك محل الأوصاف الذميمة النفس ومحل الأوصاف الحميدة الروح، وأما السر فهو لطيفة مودعة في القلب كالروح إلا أنه أشرف من الروح لكمال أوصافه.

وقال الساحلي: النفس والقلب والروح والسر والباطن أسماء لمسمى واحد وهو اللطيفة الربانية التي كان الإنسان بها إنسانا وتختلف أسماؤها باختلاف أوصافها فإن مالت لجهة النقص **سمِّيت نفسًا** وإن تخلَّصت من مقام الإسلام إلى مقام الإيمان **سميت قلبا** وإن تخلصت منه إلى مقام الإحسان ولكن بقي فيها أثر النقص كأثر الجراحات بعد البرء **سميت روحا** وإن ذهبت تلك الآثار وصَفَتْ **سميت سرا** وإن أُشكل الأمر **سمِّيت بالباطن** والاختلاف

---

(١) أى تأدبًا.

(٢) أى المذمومة.

في الروح شهير، قال بعضهم هي الحياة، **وقال بعضهم** أعيان مودعة في هذه القوالب أجرى الله العادة بخلق الحياة في القالب ما دامت الحياة فيه فالإنسان حي بالحياة، ولكن الأرواح مودعة في القوالب ولها ترق في حال النوم ومفارقة ورجوع وهي التي وقع بها النفخ، وأما النفس فهي مخلوقة في الجنين قبل نفخ الروح بها يقع التحرك، وهي ملازمة للبدن لا تفارقه إلا بالموت فتخرج الروح أولاً ثم تنقطع النفس فتقطع الحياة، فالإنسان روح ونفس وجسد والحشر للجملة وكذلك العقاب والثواب والأرواح مخلوقة قبل الأبدان سارية فيها سريان النار في الفحم والماء في العود الرطب، قلت هذه الأعيان المودَعة في القوالب هي اللطيفة الربانية اللاهوتية وهي التي تتطور وتختلف أسماؤها باختلاف تطورها كما قال الساحلي والله أعلم، وكون الأرواح حادثة يجري على مذهب أهل الفرق وأما أهل الجمع فلا حادث عندهم لفناء الكائنات عن نظرهم.

قال الجنيد: إذا اقترن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم وسألتُ بعض إخواننا العارفين هل الأرواح حادثة أو قديمة؟ قال: الرجال الأشباح عندهم قديمة يشير إلى مقام الفناء كما تقدم لكنه سر مكتوم.

النصر والتأييد والعصمة

النصر تقوية الجوارح على فعل الخير، والتأييد تقوية البصيرة من داخل، فالباعث الباطني تأييد والبطش ومساعدة الأسباب من خارج نصر، وهو جامع للهداية التى مرجعها للبصيرة العلمية الكاشفة لما عليه الشيء بحقيقته والرشد الذي مرجعه إلى الإرادة الباعثة إلى جهة السعادة والتسديد الذي

مرجعه إلى القدرة على توجيه الحركات إلى نحو المطلوب وتيسيرها عليه من التأييد، ويقترب من التأييد الجامع لما ذكر العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحرِّي الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع في باطنه غير محسوس.

قال الغزالي(١): فهذه ست حقائق: **الهداية**، **والرشد**، **والعصمة**، **والتسديد**، **النصر**، **والتأييد**.

وقد علمت كلها من كلام الغزالى رضي الله عنه، والتحقيق أن الهداية هي تصويب العبد إلى طريق توصله إلى الحق وقد تطلق على بيانها فقط.

(**والرشد**) هو توجيه القلب إلى طريق السعادة.

(**والتسديد**) هو القدرة على سلوك طريق الخير وتجنب الشر.

(**والعصمة**) هو وجود إلهي إلى آخر ما تقدم(٢).

الحكـــمة

وهي إتقان الشيء وإبداعه، ففي العلم تحقيقه والعمل به وفي القول إيجازه وتكثير معانيه وفي العمل إتقانه وإكماله، ويقال نزلت الحكمة على

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسى أبو حامد حجة الإسلام فيلسوف متصوف له نحو مائتى مصنف ولد عام ٤٥٠هـ فى الطبران (قصة طوسى بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر من كتبه مقاصد الفلاسفة - فضائح الباطنية وإلجام العوام عن علم الكلام توفى عام ٥٠٥ ببلدته.

(٢) أى ما تقدَّم توضيحه؛ وهو المقصود بالعصمة وأنها عبارة عن وجود إلهى يسبح فى الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع فى باطنه غير محسوس.

ثلاث فـــرق: على ألسنة العـــرب وأيـــدى الصـــين وعقول اليونان[١] والله تعالى أعلم.

العقـــل

وهو نور يميِّز به بين النافع والضار، ويحجز صاحبه عن ارتكاب الأوزار أو نور روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية أو قوة مهيئة لقبول العلم؛ سمى عقلا لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغى،[١] وهو على قسمين: عقل أكبر وعقل أصغر، أما العقل الأكبر فهو أول نور أظهره الله للوجود ويقال له الروح الأعظم، ويسمى أيضاً بالقبضة المحمدية ومن نوره يمتد العقل الأصغر كامتداد القمر من نور الشمس فلا يزال نوره ينمو بالطاعة والرياضة والتطهير من الهوى حتى يدخل العبد مقام الإحسان وتشرق عليه شمس العرفان فينطوي نوره في نور العقل الأكبر كانطواء نور القمر عند طلوع الشمس فيرى

---

(١) ترك المؤلف رضى الله عنه فى الحكمة ما اعتاده من التقسيم بداية ووسطا ونهاية، ويمكن أن يقال إن التقسيم يؤخذ من كلامه بطريق الإشارة فالحكمة عند العامة هى الإتقان والإبداع فى الظاهر وعند الخاصة هى الإتقان والإبداع فى الباطن مع الإتقان فى الظاهر كالإخلاص فى الأعمال وتفريغ القلب من الدنيا وقت العبادة والمراقبة فيها للمعبود وعند خاصة الخاصة هى المعرفة بالله والاستقامة بحيث لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا يحجبه فرقه عن جمعه فيعطى كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه.

قال الغزالى: الحكيم ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأجل الأشياء هو الله تعالى وقد سبق أنه لا يعرفه كنه معرفته غيره فهو الحكيم الأزلى الدائم الذى لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء وشبهه ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالى، وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم وكمال ذلك أيضا ليس إلا لله تعالى فهو الحكيم الحق وسيأتى ذكرها أيضا مع القدرة.

(٢) جاء فى مختار الصحاح أن العقل: الحجر والنُّهى، ويعقل صاحبه عما لا ينبغى: أى يمسكه ويمنعه عن فعل ما لا ينبغى.

من الأسرار والغيوب ما لم يكن يره قبل؛ لأن العقل الأصغر نوره ضعيف لا يدرك إلا افتقار الصنعة إلى صانعها ولا يدرى ما وراء ذلك بخلاف العقل الأكبر فإنه يدرك الصانع القديم قبل التجلي وبعده لصفاء نوره وشدة شعاعه، وفي بعض الأخبار: «**أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل، ثم قال أدبر فأدبر ثم قال له اقعد فقعد ثم قال له قم فقام فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا ولا شيئا أعز عليَّ منك بك آخذ وبك أعطي**»[١]. وفي بعض الروايات: «**بك أُعبد وبك أُعصي**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام، والحديث متكلم فيه فالعقل الأكبر لا يناله إلا المحبوبون الذين اختارهم الله لمعرفته الخاصة، وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام **وهو على قسمين**:

عقل موهوب وعقل مكسوب، فالموهوب هو الذي جعله الله فيه غريزة والمكسوب هو الذي يكتسب بالتجاريب والرياضات وارتكاب المحن.

---

(١) حديث موضوع عند أهل العلم بالحديث ليس هو فى شيء من كتب الإسلام المعتمدة وإنما يرويه مثل داوود ابن المحبر وأمثاله من المصنفين فى العقل، ويذكره أصحاب رسائل إخوان الصفا، ونحوهم من المتفلسفة وقد ذكره أبو حامد فى بعض كتبه، وابن عربى، وابن سبعين وأمثال هؤلاء، وهو عند أهل العلم بالحديث كذب على النبى صلى الله عليه وسلم.

قال فى المقاصد نقلا عن ابن تيميه وغيره: أنه كذب موضوع باتفاق.

وأخرجه داود بن المحبر فى كتاب «العقل له، وهو كذاب عن الحسن أيضا بزيادة: «ولا أكرم على منك، لأنى أعرف، وبك أعبد» وفى الكتاب المذكور لداود من هذا النمط أشياء منها:

«أول ما خلق الله العقل» وذكره، لكن ذكره فى الأحياء وقال العراقى فى تخريج أحاديثه أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وأبو نعيم باسنادين ضعيفين وقال السخاوى والسيوطى: رواه ابن أحمد فى زوائد الزهد عن الحسن يرفعه وهو مرسل جيد الأسناد ولا يلزم من رواية ابن المجد أن يكون موضوعا، لا سيما وقد رواه الأئمة بغير اسناد ابن المحبر فليس الحديث بموضوع.

قال بعضهم: وعلامة العقل ثلاث: تقوى الله عز وجل، وصدق الحديث، وترك ما لا يعني. وقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور**»(١).

وقال بعض الحكماء: خير ما أُعطى الإنسان عقل يزجره، فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه تستريح منه البلاد والعباد، وهل الأرواح قبل الأشباح كان لها عقل والتحقيق أنها كانت لها عقول مقتبسة من العقل الأكبر فلذلك أقرت بالربوبية بل كانت علامة داركة للأشياء كما قال ابن البنا(٢)، والمعرفة والإدراك إنما يكونان بالعقل فلما برزت لعالم الأشباح أزال الله منها ذلك العقل الذي هو من العقل الأكبر، وأنبت فيها العقل الأصغر عند اجتنان الولد في البطن فما زال ينمو إلى الحلم وقيل إلى أربعين سنة فإذا اتصل العبد بالطبيب عالجه حتى يوصله إلى العقل الأكبر فيكون صاحبه من الأولياء الكبار وبالله التوفيق.

التوحيد(٣)

وهو على قسمين: توحيد البرهان وهو إفراد الحق بالأفعال

---

(١) كتاب الرياضة وأدب النفس – للحكيم الترمذي ص ١٢٤.

(٢) في مباحثه الاصليه:

فلم تزل كل نفوس الاحياء علامة دراكة للأشياء

وإنما تعوقها الأبدان والأنفس النزع والشيطان

(٣) هو الحكم بأن الله واحد، والعلم بأن الشيء واحد لقوله تعالى: ﴿**وآلهكم إله واحد**﴾.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد فقال لأهله إذا مت فاحرقوني، ثم اسحقوني، ثم ذروا نصفي البحر في يوم ريح ففعلوا. فقال الله عز وجل للريح: أدى ما أخذت فإذا هو بين يديه، فقا له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: استحياء منك فغفر له.

والصفات والذات من طريق البرهان، وتوحيد العيان وهو إفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد.

وقال الجنيد رضي الله عنه: هو معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون الله كما لم يزل، وأصوله خمسة أشياء: رفع الحدث وإفراد القدم وهجران الإخوان ومفارقة الأوطان ونسيان ما علم وما جهل.

قلت: والمعنى الذي تضمحل فيه الرسوم هو ظهور أسرار الذات فإذا وقع الكشف عنها بغيبة حس الكائنات التي هي أواني لتلك المعاني انفرد الحق بالوجود ويكون فيما لم يزل كما كان في الأزل كان الله ولا شيء معه وهو الآن كما كان، فيرتفع الحدث وينفرد القدم ويهجر صاحب هذا الذوق جميع الإخوان إلا من يستعين بهم على ربه ويفارق الأوطان في طلب الحق لأن الهجرة سنة وينسى ما علم وما جهل أى يغيب عنه في جنب الكنز الذي ظفر به. وسئل أيضا رضى الله عنه عن التوحيد فقال: لون الماء لون إنائه، ومعنى كلامه رضى الله عنه أن الذات العلية كانت لطيفة خفية نورانية فلما تجلّت بالرسوم والأشكال تلونت بتلونها فافهم وسلِّم إن لم تذق ومقامات التوحيد غير متناهية؛ لأنها تتزايد بتزايد الكشف والترقي ففوق التوحيد **التفريد**(١): فإنه أرق من التوحيد وأعلى؛ لأن التوحيد يصدق على توحيد أهل العلم والتفريد خاص بأهل الذوق وفوق التفريد.

---

(١) التفريد اسم لتخليص الإشارة إلى الحق ثم بالحق ثم عن الحق. لقوله تعالى: ﴿ **ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾ وتفريد الإشارة إلى الحق ثلاث درجات:

تفريد الإشارة بالافتخار، بوحا، وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة، وتفريد الإشارة بالقبض غيره.

الأحدية والإيحاد والفردانية والوحدانية والانفراد

وهكذا رتبتهم في القوة، فالأحدية مبالغة في الوحدة، والإيحاد مصدر أوحد الشيء إذا صار واحدا والفردانية والوحدانية والانفراد معناها: إفراد الحق بالوجود ولا يكون إلا بعد انطباق بحر الأحدية على الكل بحيث لم يبق وجود لغيره قط وهو يذوق ذلك ذوقا ويغرق فيه غرقا، ويقال لأهل هذا المقام الإفراد والآحاد وهم أكمل من القطب في العلم بالله كما قال الحاتمي وخارجون عن دائرة تصرفه والله تعالى أعلم.

حقيقة الذات العلية

هي ذات كلية أزلية لطيفة خفية، متجلية بالرسوم والأشكال متصفة بصفات الكمال، واحدة في الأزل وفيما لا يزال هذا رسمها بالخواص وأمَّا كُنْهُ الحقيقة فلا يحيط بها إلا هو تعالى.

العمـا

وهو عبارة عن صفة الذات العلية في الأزل قبل التجلي وحقيقته فضاء لطيف خفي صافي لا يدرك. لا حَدَّ لفوقيته ولا لتحتيته ولا لجوانبه الأربع، ولا نهاية لأوليته ولا لآخريته، خال عن الرسوم والأشكال متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام ويجمعه قول ابن الفارض في خمريته:

يقولون لي صِفها فأنت بوصفها ... خبير أجل عندي بأوصافها علم

صفاءٌ ولا ماءٌ ولطفٌ ولا هوى ... ونور ولا نار وروحٌ ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها ... قديما ولا شكل هناك ولا رسم

ثم تجلت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيفا والخفي ظاهرا والغيب شهادة فما كان في الأزل هو عين ما تجلى به في الأبد كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان، وفي حديث الترمذي عن ابي رزين العقيلي قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عما[١]، ما فوقه هواء وما تحته هواء، أي كان في خفاء ولطافة ليس فوقه هواء ولا تحته هواء بل عظمة ذاته أحاطت بكل فوق وبكل تحت وبكل هواء[٢] وقيل لسيدنا علي كرم الله وجهه يا ابن عم رسول الله أين كان ربنا أو هل له مكان؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم أين الله سؤال عن مكان، وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون زمان ولا مكان. أي كان الله ولا شيء معه وهو الآن لا شيء معه فافهم.

الفناء والبقاء

إذا أُطلق الفناء إنما ينصرف للفناء في الذات وحقيقته محو الرسوم والأشكال بشهود الكبير المتعال أو استهلاك الحس في ظهور المعنى[٣].

---

(١) قوله: «كان فى عما» قال ابن الأثير فى النهاية (عما) فى حديث أبى رزين قال يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه قال كان فى عماء تحته هواء وفوقه هواء العماء بالفتح والمد السحاب قال أبو عبيد لا يدرى كيف كان ذلك العماء وفى رواية كان في عما بالقصر ومعناه ليس معه شيء وقيل هو كل أمر لا تدركه عقول بنى آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن ولا بد فى قوله أين كان ربنا من مضاف محذوف كما حذف فى قوله تعالى ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله**﴾ ونحوه فيكون التقدير أين كان عرش ربنا ويدل عليه قوله تعالى وكان عرشه علي الماء قال الأزهرى نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أى نجرى اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل أ.هـ

(٢) قال العلماء فى قول الله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والعمل به واجب، ونجرى اللفظ على ما جاء عليه من غير تأويل.

(٣) أشار القوم بالفناء: إلى سقوط الأوصاف المذمومة وأشاروا بالبقاء: إلى قيام الأوصاف المحمودة.

وقال أبو المواهب(١): محو واضمحلال، وذهاب عنك وزوال.

وقـال أبو سعيد بن الأعرابي(٢): هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار يفنيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه، وفنائه عن الأشياء وعن فنائه عن الفناء لأنه يغرق في التعظيم أي تتجلى له عظمة الذات فتفنيه عن رؤية الأشياء ومن جملتها نفسه فيصير عين العين ويغرق في بحر الأحدية وقد يطلق الفناء على الفناء في الأفعال فلا يرى فاعلا إلا الله وعلى الفناء في الصفات فلا قدير ولا سميع ولا بصير إلا الله؛ يعنى أنه يرى الخلق موتى لا قدرة لهم ولا سمع ولا بصر إلا بالله وبعد هذا يقع الفناء في الذات وفي ذلك يقول الشاعر:

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى فكان فنـاؤه عـين البقاء

---

(٢) هو محمد أبو المواهب الشاذلى كان من الظرفاء والأجلاء الاخبار والعلماء الراسخين والابرار ألف الكتب الفائقة، وكان مقيما بالقرب من الجامع الأزهر.

وكان له خلوة فوق سطحه موضع المنارة التى عملها السلطان الغورى وكان يغلب عليه سكر الحال فينزل يتمشى ويتمايل فى الجامع الأزهر فيتكلم الناس فيه بجمع ما فى أدعيتهم حسنا.

وله كتاب القانون فى علوم الطائفة وهو كتاب. بديع لم يؤلف مثله يشهد لصاحبه بالذوق الكامل فى الطريق.

(٢) هو أحمد بن محمد بن زياد البصرى كان من كبار المحدثين وصفه الإمام الذهبى: بالإمام الحافظ الثقة الزاهد. صحب الجنيد وعمرو بن عثمان المكى والنورى وغيرهم.

من أقواله:

- إن الله تعالى جعل نعمته سببًا لمعرفته، وتوفيقه سببًا لطاعته، وعصمته سببًا لاجتناب معصيته، ورحمته سببًا للتوبه، والتوبة سببًا لمغفرته والدنو منه.

توفى بالحرم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة.

وأما البقاء فهو الرجوع إلى شهود الأثر بعد الغيبة عنه أو شهود الحس بعد الغيبة عنه بشهود المعنى لكنه يراه قائماً بالله ونورا من أنوار تجلياته إذ لولا الحس ما ظهر المعنى ولولا الواسطة ما عرف الموسوط، فالحق تعالى تجلى بين الضدين بين الحس والمعنى، وبين القدرة والحكمة، وبين الفرق والجمع، فالغيبة عن أحد الضدين فناء ورؤيتهما معا بقاء فالغيبة عن الحس وعن الحكمة وعن الفرق فناء وملاحظتهما معا بقاء؛ فالبقاء اتساع في الفناء بحيث لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فناؤه عن بقائه ولا شهود القدرة عن الحكمة بل يعطى كل ذي حق حقه ويوفّي كل ذي قسط قسطه وقد يطلق الفناء على التخلّي والتحلّي فيقال فني عن أوصافه المذمومة وبقي بالأوصاف المحمودة والله تعالى أعلم.

القدرة والحكمة

القدرة عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة، والحكمة عبارة عن سترها بوجود الأسباب والعلل، فالقدرة تبرز والحكمة تستر والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا نادرا في معجزة أو كرامة أو شعوذة وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف والحكمة ما يسترها من الحس وأوصاف البشرية وأحكام العبودية فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة وبطونه في ظهوره بمقتضى اسمه الباطن يسمى حكمة، فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قدرة، وخفاءه في ظهوره حكمة وإليه يشير قول الحكم سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية.

الفرق والجمع

الفرق عبارة عن شهود حس الكائنات والقيام بأحكامه وآدابه من العبادة والعبودية والجمع عبارة عن شهود المعنى القائم بالأشياء متصلا بالبحر المحيط الجبروتي أو تقول الفرق شهود القوالب والجمع شهود المظاهر فالقوالب محل الشرائع والمظاهر عين الحقائق.

وقال أبو علي الدقاق(١): الفرق ما نسب إليك والجمع ما سُلب عنك. فالفرق بلا جمع فسوق وجمود وجهل بالله تعالى، والجمع بلا فرق زندقة وكفر إن لم يكن سكر لأنه يؤدي إلى إبطال الشرائع التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وإلى إبطال الحكمة. والقدرة لا تنفك عن الحكمة فالواجب أن يكون العبد مجموعا في فرقه مفروقا في جمعه الجمع في الباطن موجود والفرق على الظاهر مشهود.

الحس والمعنى

الحس عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهرا، والمعنى عبارة عن تلطيفها باطنا فحس الكائنات أوانٍ حاملة للمعاني.

---

(١) هو أبو على الدقاق النيسابورى الزاهد، العارف، شيخ الصوفية، تفقه بمرو عند الخضرى، وأعاد عند القفال، وبرع فى الفقه، ثم سلك طريق الصوفية، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصر آبادى، وأخذ الطريقه عنه، وزاد عليه حالاً ومقالاً، واشتهر ذكره فى الآفاق، وانتفع به الخلق وهو أستاذ الامام القشيرى الذى لازمه وأخذ عنه فانتفع به علمًا وعملاً، ومن حبه لشيخه وحب شيخه له أن تزوج ابنة شيخه، فازاد ارتباطهما بهذا النسب المبارك وزاد الامام القشيرى احتراما لشيخه وحباله وابتاعه فى عبادته، ومعرفته بالله تعالى.
توفى فى ذى الحجة سنة ست وأربعمائه وقيل: سنة خمس. (طبقات الشافعية المجلد الأول ترجمة رقم (١٣٩) ط دار الندوة الجديدة بيروت).

قال الششتري رضي الله عنه: لا تنظر إلى الأواني. وخض بحر المعاني. لعلك تراني.

فمثال الكون كالثلجة ظاهرها ثلج. وباطنها ماء كذلك الكون ظاهره حس وباطنه معنى والمعنى هي أسرار الذات اللطيفة القائمة بالأشياء فقد سرت المعاني في الأواني سريان الماء في الثلجة وفي ذلك **يقول قطب الأقطاب الشيخ الجيلاني رضي الله عنه**[1]:

وما الكون في التمثال إلا كثلجة　　وأنت لهـــــا الماء الذي هو نابع

فما الثلج في تحقيقنا غير مائه　　وغيران في حكم دعته الشرائع

فلا قيام للحس إلا بالمعنى ولا ظهور للمعنى إلا بالحس فالمعنى رقيقة لطيفة لا تدرك إلا بتحسسها في قوالب الكائنات فظهور المعنى بلا حس محال وشهود الحس بلا معنى جهل وظلمة، ولذلك قال في الحكم: الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه إلخ فلا يرى الحق تعالى إلا بواسطة التجليات في هذه الدار وفي تلك الدار.

وفي ذلك يقول بعضهم:

وليست تنال الذات من غير مظهر　　ولو هتك الإنسان من شدة الحرص

الملك والملكوت والجبروت

الملك ما ظهر من حس الكائنات، والملكوت ما بطن فيها من أسرار المعانى، والجبروت البحر المحيط الذى تدفق منه الحس والمعنى، والحاصل أن

---

(١) هو سيدى عبد القادر الجيلانى سلطان الأولياء وإمام الأصفياء وأحد أركان الولاية الأقوياء الذين وقع الإجماع على ولايتهم عند جميع أفراد الأمة المحمدية من العلماء وغير العلماء. توفى رضى الله عنه سنة ٥٦١هـ.

القبضة التي ظهرت أولاً من فضاء العماء حسها الظاهر ملك ومعناها الباطن ملكوت والبحر اللطيف المحيط الذي تدفقت منه جبروت، فأسرار المعاني رياض العارفين لأنها محل نزهة أرواحهم ولا شك أن المعاني لطيفة لا تظهر بهجتها إلا في الحس الذى هو الملك والحس من حيث هو مضاف إلى نبينا عليه الصلاة والسلام لأنه ما ظهر إلا له وما انشقت أسرار الذات إلا من نوره فلذلك قال القطب بن مشيش[١] رضي الله عنه: فرياض الملكوت بزهر جماله مُونقة أي محسَّنة معجبة، فقد ذكر الملك بالالتزام لأن جمال زهر المعاني لا يظهر إلا في حس الكائنات وهو الملك، وقوله وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة الأصل أن يقول وبحر الجبروت بفيض نوره متدفق يشير إلى ظهور القبضة المحمدية من بحر نوره اللطيف وإنما عبر بالحياض ليناسب الرياض وإنما جمع نور القبضة لتفرعه إلى أنوار كثيرة كما جمع العالمين مع أن العالم واحد لتعدد أنواعه والله تعالى أعلم فـ حقيقة الملك ما يدرك بالحس والوهم وحقيقة الملكوت ما يدرك بالعلم والذوق وحقيقة الجبروت ما يدرك بالكشف والوجدان فالوجود واحد وإنما تختلف النسبة باعتبار الرؤية والترقية فمن وقف مع حس الكائنات وحجب بها عن المعنى سمِّي في حقه ملكا ومن نفذ إلى شهود المعاني سمِّي في حقه ملكوتا، ومن نظر إلى أصل القبضة الذي برزت

---

(١) هو عبد السلام بن مشيش اتجه منذ بواكير حياته إلى الله، وألف العبادة والنسك من صغر حتى قال عنه «أبو الحسن الشاذلي» رضى الله عنه إنه سلك الطريق إلى الله منذ أن كان عمره سبع سنين.

من حكمه: المرء إذا شرب الماء الساخن قال: الحمد لله بكزازة، وإذا شرب البارد وقال: الحمد لله استجاب كل عضو منه بالحمد لله.

توفى سنة ٦٢٣هـ تقريبًا فكان شهيد الدود عن الإسلام وعن شريعة: آخر الشرائع - وخاتمة الرسالات.

منه سمّاه جبروتا فإن ضم الفروع إلى الأصول وتلطفت الأواني حتى صارت كلها معاني وانطبق بحر الأحدية على الكل صار الجميع جبروتا فكل مقام يحجب عن ما قبله فالملكوت يحجب عن شهود الملك والجبروت يحجب عن الملكوت إلا بالتنزل في حال السلوك والله تعالى أعلم.

الناسوت واللاهوت والرحموت

الناسوت عبارة عن حس الأواني، واللاهوت عبارة عن أسرار المعاني ومرجع الأول للملك والثاني للملكوت، والرحموت عبارة عن سريان اللطف والرحمة في جميع الأشياء جلالها وجمالها، من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره.

التواجد والوجد والوجدان والوجود

التواجد تكلف الوجد واستعماله كاستعمال الرقص والشطح والقيام وغير ذلك وهو غير مسلم إلا للفقراء المتجردين ،فلا بأس بتكلف الوجد واستعماله كما يطلب الحال دواء للنفوس وهو مقام الضعفاء وقد تستعمله الأقوياء مساعفة أو حلاوة.

قيل لأبي محمد الجريري[١]: ما حالك في السماع؟ فقال: إذا حضر هناك محتشم أمسكت وجدي وإذا خلوت أرسلت وجدي فتواجدت.

---

(١) هو أبو محمد الجريرى ويقال إن اسمه أحمد بن محمد بن الحسن، وكنية والده أبو الحسين كان من كبار أصحاب الجنيد، وهو من علماء مشايخ القوم، أقعد بعد الجنيد فى مجلسه، لتمام حاله وصحة علمه.

من كلامه:

- سئل عن القراءة فقال: هو الذى طلب الآخرة، وسعى لها سعيها، وأعرض عن الدنيا والاشتغال بها.

الرجاء طريق الزهاد، والخوف سلوك الأبطال.

توفى سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وأما الجنيد فكان أولاً يتواجد ثم سكن فقيل له يا سيدي أما لك في السماع شيء؟ فقال: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾[١].

قلت[٢]: وقد حضرت سماعا مع شيخنا البوزيدي رضي الله عنه[٣] فكان يتمايل يمينا وشمالا، وحدثني من حضر سماعا مع شيخه **مولاي العربي الدرقاوي**[٤] فقال: ما زال قائما يرقص حتى كمل السماع ولا ينكر السماع إلا جامد جاهل خال من أسرار الحقيقة وأما الوجد فهو الذي يرد على القلب ويصادمه بلا تأمل ولا تكلف إما شوق مقلق أو خوف مزعج أو هو بعد التواجد ويقال التواجد ثمرات المنازلة في أسرار الحقائق كما أن حلاوة الطاعات ثمرات المنازلة في الطاعة الظاهرة فكلما اشتد التحقق بأسرار الحقائق والتوحيد قوي الوجد كما أنه كلما اشتد الدوام على الطاعة قويت حلاوتها، وأما الوجدان فهو دوام حلاوة الشهود واتصالها مع غلبة السكر والدهش فإن استمر مع ذلك حتى زالت الدهشة والحيرة وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود **وإليه يشير قول الجنيد رضي الله عنه** :

وجودي أن أغيب عن الوجود ... بما يبدو عليَّ من الشهود

وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه: التواجد يوجب استيعاب العبد والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد فهو كمن شهد

---

(١) سورة النمل آية (٨٨).

(٢) القائل هنا ابن عجيبة صاحب الكتاب.

(٣) هو العارف بالله محمد بن أحمد البوزيدى الحسنى شيخ ابن عجيبة

(٤) العارف بالله سيد العربى بن أحمد الدرقاوى الحسنى شيخ العارف بالله محمد بن أحمد البوزيدى.

البحر ثم ركب ثم غرق . **وقال القشيري**(١) : وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود : فالقصود للمتواجدين القاصدين، الوجد والورود للواجدين الشاربين، الخمرة والشهود لأهل الوجدان السكارى، والوجود والخمود لأهل الصحو والله تعالى أعلم .

الذوق والشرب والسكر والصحو

الذوق يكون بعد العلم بالحقيقة، وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل فيغيب عن رؤية الحدوث في أنوار القِدم لكنه لا يدوم ذلك بل يلمع تارة ويخفى أخرى فصاحبه يدخل ويخرج فإذا لمع غاب عن حسه وإذا خفي رجع إلى حسه ورؤية نفسه، فهذا يسمى عندهم ذوقا فإن دام له ذلك النور ساعة أو ساعتين فهو الشرب وإن اتصل ودام فهو السكر ومرجعه إلى فناء الرسوم في شهود الحي القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر، ويسمى أيضاً الفناء فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنها نور من أنوار الله فهو الصحو، ويسمى أيضاً بالري وبالبقاء لإبقاء الأشياء بالله بعد فنائها ويسمى أيضاً فناء الفناء لأنه علم أنه لم يكن ثَم(٢) شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما .

---

(١) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى الشافعي .

ولد رضى الله عنه سنة ست وسبعين وثلثمائة فى شهر ربيع الأول فى بلدة «إستوا» وكان سكانها من الغرب الذين قدموا خرسان . وهو عربى من قبيلة «قشير بن كعب» .

من مؤلفاته : الرسالة القشيرية، لطائف الإشارات في تفسير القرآن - المعراج - ترتيب السلوك - شرح أسماء الله الحسنى - التوحيد النبوى إلى غير ذلك من الكتب الصوفية النافعة القيمة صبيحة وفاته : توفى صبيحة يوم الأحد، فى السادس عشر من شهر ربيع الأول عام ٤٦٥هـ خمس وستين وأربعمائة بمدينة «نيسابور» ودفن بجوار شيخه أبى على الدقاق رحمهما الله رحمة واسعة .

(٢) بمعنى هناك .

قال القشيرى: واعلم أن الصحو على قدر السكر فكل من كان سكره بحق كان صحوه بحق ومن كان سكره بحظ مشوبا كان صحوه بحظ مصحوباً، ومن كان محقا في حاله[١] كان محفوظا في سكره ثم قال فمن قوى حبه تسرمد شربه ولله در القائل:

شربتُ الحُبَّ كأسًا بعد كأسٍ فما نَفَدَ الشرابُ ولا رَويتُ

المحو والإثبات

المحو الغيبة عن الكائنات فناء[٢]، والإثبات إثباتها بقاء ويطلق على محو الأوصاف الذميمة، وإثبات الأوصاف الحميدة وهي ثلاث: محو الزلة عن الظواهر ومحو الغفلة عن الضمائر ومحو العلة عن السرائر، ففي محو الزلة إثبات التوبة وفي محو الغفلة إثبات اليقظة وفي محو العلة إثبات الصفاء.

الستر والتجلي

الستر عندهم عبارة عن غيبة العبد عن ربه ترويحا وتنزلا وشغلا بشأن

---

(١) أى فى حال صحوه.

(٢) المحو: رفع أوصاف العبادة.

والإثبات: إقامة أحكام العبادة.

فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة، وأتى بدلها بالأفعال والاحوال الحميدة فهو صاحب محو وإثبات.

وحقيقة المحو والإثبات مصادران عن القدرة: فالمحو: ما ستره الحق ونفاده والإثبات ما أظهره الحق وأبداه والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة قال الله تعالى ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت**﴾.

من الشئون(١)، والتجلي عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه وهذا قبل الرسوخ، وأما بعد الرسوخ فلا غيبة له فالعوام فى غطاء الستر على الدوام والخواص بين كشف وغطاء وخواص الخواص في دوام التجلي فالستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة إذ لولا أنهم يستر عنهم في بعض الأحيان لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عنهم فالخواص بين عيش وطيش إذا تجلى لهم طاشوا وإذا ستر عنهم ردوا إليهم فعاشوا.

المحاضرة والمكاشفة والمسامرة

المحاضرة حضور القلب مع الرب ويكون من وراء الحجاب، إما بتواتر البرهان أو بفكرة الاعتبار أو باستيلاء سلطان الذكر على القلب ثم بعده المكاشفة وهي حضور القلب مع الرب بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ويكون أيضاً مع الحجاب بنعت القرب في مقام المراقبة وهو للعباد والزهاد ونهاية الأسرار، وأما مكاشفة ضمائر الناس فليست بمقصودة عندهم قد يعطاها من لم يبلغ لهذا المقام، وبعد المحاضرة والمكاشفة المسامرة وهي: ظهور أسرار الذات فيغيب العبد عن وجوده ويغرق في بحر الأحدية ساعة أو ساعتين ثم يرجع إلى شاهده وحسه كمن يستمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر ثم يخرج؛ وهي من بداية الوجدان ولمعان أنوار المشاهدة، ثم بعدها المشاهدة وهي: دوام شهود الحق بلا تعب أو وجود الحق بلا تهمة.

وقال الجنيد رضي الله عنه: المشاهدة وجود الحق مع

---

(١) الستر للعوام عقوبة، وللخواص رحمه، إذ لولا أنه يستر عيهم ما يكاشفهم به، لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه كما يظهر لهم يستر عليهم.

ففى الخبر: «إن الله إذا تجلى لشيء خشع له».

فصاحب الستر، بوصف شهوده، وصاحب التجلى أبداً، بنعت خشوعه.

فقدانك(١). وقد تقدم تفسيرها وإنما أعيدت هنا لترتبها على ما قبلها. قال القشيرى: فصاحب المحاضرة مربوط بآياته وصاحب المكاشفة مبسوط بصفاته وصاحب المشاهدة ملقى بذات(٢).

قلت: وصاحب المسامرة تارة بتارة، ثم قال القشيري: صاحب المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفة يُدنيه علمه(٣) وصاحب المشاهدة تمحوه معرفته، وأجمع ما قيل في المشاهدة أنه توالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر وانقطاع كما لو قدر اتصال البروق في الليلة الظلماء فإنها تصير في ضوء النهار وكذلك القلب إذا دام له دوام التجلي فلا ليل وأنشدوا:

ليلى بوجهك مُشرق وظلامه في الناس سارِ
الناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهارِ

والسدف بالسين الظلمة كما في القاموس.

وقال النووي(٤): إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح ،وقول الشاعر

---

(١) أى فنائك عما سواه.

(٢) انظر الرسالة القشيرية ص ٢٤٥ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، والدكتور محمود ابن الشريف طبعة دار الكتب الحديثة.

(٣) أى يُقرِّبه.

(٤) هو محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن حزام بن محمد بن جمعة. ولد في العشر الأول من المحرم سنة ٦٣١هـ بنوى قرية من قرى الشام من عمل دمشق وقدم إلى دمشق سنة ٦٤٩هـ تولى التدريس بدار الحديث الأشرفيه سنة ٦٦٥هـ وحج مرتين وسافر في آخر عمره إلى بلده، وزار القدس والخليل ثم رجع إليها فمرض بها عند أبويه. ألف رحمه الله نحوا من خمسين كتابا، في زمن يسير وعمر قصير منها – شرح مسلم – رياض الصالحين – الأذكار – الأربعون – التبيان في آداب حملة القرآن – بستان العارفين .

توفى رضى الله عنه بنوى، في الثلث الأخير من الليل، ليلة الأربعاء ١٤ من شهر رجب ٦٧٦هـ ودفن بها من الغد .

ليلى بوجهك إلخ : أى ليل وجودي مشرق بوجود ذاتك فقد ذهبت ظلمة وجودي في نهار وجودك .

اللوائح واللوامع والطوالع

وهي ألفاظ متقاربة، وهي لأهل البدايات حين تبرق عليهم أنوار الشهود ثم تستر فتكون أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع؛ فاللوامع أظهر من اللوائح، والطوالع أظهر من اللوامع فقد تبقى اللوامع ساعتين أو ثلاث بخلاف اللوائح(١) فإنها أخف لزوالها بسرعة كما قال الشاعر:

افترقنا حَوْلا فلما اجتمعنا كان تسليمه علي وداعَا

وقال آخر:

يا ذا الذي زار وما زارا كأنه مُقتبس نارا

مر بباب الدار مستعجلا ما ضره لو دخل الدارا

وأما الطوالع فإنها أبقى وقتا وأقوى سلطاناً وأذهب للظلمة وأنفى للتهمة، لكنها على خطر الأفول لم يتمكن صاحبها من طلوع شمس عرفانه فأوقات حصولها وشيكة الارتحال وأحوال أفولها طويلة الأذيال لكن إذا غربت أنوارها بقيت آثارها فصاحبها إذا غربت أنوارها يعيش في بركات آثارها إلى أن تعود ثانيا هكذا حتى تطلع شمس نهاره بتمكنه فلا مغيب لها حينئذ كما قال القائل:

طلعت شمس من أحب بليلٍ واستنارت فما تلاها غُروبُ

إن شمس النهار تغرب ليلا وشُموس القلوب ليست تغيبُ

---

(١) ينتظرون مجيء اللوائح بغتة .

البواده والهجوم

البواده ما يفجأ القلب من ناحية الغيب على سبيل البغتة(١) إما موجب فرح أو ترح، والهجوم ما يرد على القلب بقوة الوقت من غير تصنع ولا تكسب، وتختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وقوتهم، فمنهم من تغيره البواده وتنصرف فيه الهواجم، ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالا وقوة لاتغيره الهواجم ولا تتصرف فيه البواده ولا تزعجه الهموم ولا تحرّكه المخاوف أولئك سادات الوقت كما قيل:

لا تهتدى نوب(٢) الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل لجام

وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتمكين جعلنا الله منهم آمين.

التلوين والتمكين

التلوين هو: الانتقال من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام(٣) وقد

---

(١) أى الفجاة.

(٢) أحداثه. لجام: قوة ثبات.

(٣) **التلوين**: صفة أرباب الأحوال.

التمكين: صفة أهل الحقائق.

فما دام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقى من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف ويخرج من مرحل ويحصل فى مربع فإذا وصل تمكن يقول الأستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول: أصول القوم فى جواز دوام التمكين تتخرج على وجهين:

أحدهما: ما لا سبيل إليه لأنه قال صلى الله عليه وسلم: لو بقيتم على ما كنتم عليه عندى لصافتحكم الملائكة». ولأنه صلى الله عليه وسلم قال «لى وقت لا يسعنى فيه غير ربى عز وجل» أخبر عن وقت مخصوص.

والوجه الثانى: أنه يصح دوام الأحوال لأن أهل الحقائق ارتقوا عن وصف التأثر بالطوارق، والذى فى الخبر أنه قال: «لصافتحكم الملائكة، فلم يعلق الأمر فيه على أمر مستحيل، ومصافحة الملائكة دون ما أثبت لأهل البداية من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع».

يسقط ويقوم، فإذا وصل إلى صريح العرفان وتمكن من الشهود فصاحب تمكين فصاحب التلوين أبدا في الزيادة وصاحب التمكين وصل وتمكن فانتهاء سيرهم الظفر بنفوسهم، فإن ظفروا بها فقد وصلوا فانخنست أوصاف البشرية واستولى عليها سلطان الحقيقة، فإذا دام ذلك للعبد فهو صاحب تمكين وقد يكون التلوين بعد التمكين ومعناه النزول في المقامات كنزول الشمس في بروجها فيتلون العارف مع المقادير ويدور معها حيث دارت ويتلوَّن بتلون الوقت فيكون بين قبض وبسط وقوة وضعف ومنع وعطاء وسرور وحزن وغير ذلك من تقلبات الأحوال غير أنه مالك غير مملوك لا يتغير بتغير الأحوال ولا يتأثر بالزلازل والأهوال والله تعالى أعلم.

القرب والبعد

القرب: كناية عن قرب العبد من ربه بطاعته وتوفيقه وهو على ثلاث مراتب: قرب بالطاعة وترك المخالفة، وقرب بالرياضة والمجاهدة، وقرب بالوصول والمشاهدة؛ فقرب الطالبين بالطاعة وقرب المريدين بالمجاهدة وقرب الواصلين بالمشاهدة فأول البعد البعد عن التوفيق ثم البعد عن سلوك الطريق ثم البعد عن التحقيق.

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل يقول: «**ما تقرَّب إليَّ المتقربون بمثل أداء ما افترضته عليهم، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا** ...»[1] الحديث، وفي حديث

---

(١) قوله ما تقرب إليَّ المتقربون الخ الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى: قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليَّ عبدى بشىء أحب إليَّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه أ.هـ

آخر: «فإذا أحببته كنته» فقرب العبد من ربه انحياشه إليه بقلبه وقرب الحق من عبده تغييبه عن وجوده الوهمي وكشف الحجاب عن عين بصيرته حتى يرى الحق أقرب إليه من كل شيء، ثم يغيب القرب في القرب فيتحد القريب والقرب والمحب والحبيب كما قال القائل[١]:

أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنـــا

وكما قال الششترى:

أنا المحـــب والحـــبيب مـــا ثَـم ثانـــــــــــي

الشريعة والطريقة والحقيقة

الشريعة تكليف الظواهر، والطريقة تصفية الضمائر، والحقيقة شهود الحق في تجليات المظاهر، فالشريعة أن تعبده والطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهده[٢]، فلما تجلى الحق بين الضدين فتجلّى بمظاهر عظمة الربوبية في

---

(١) القائل هنا هو الحلاج وتمام الكلام: **نحـــن روحـــان حـــللنا بَـــدَنا**

(٢) **الشريعة**: أمر بالتزام العبودية.

الحقيقة: مشاهدة الربوبية.

فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول. وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبول.

فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق. فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده.

والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر.

يقول الأستاذ / أبا علي الدقاق:

قوله ﴿**إياك نعبد**﴾ حفظ للشريعة و ﴿**إياك نستعين**﴾ إقرار بالحقيقة.

فالشريعة حقيقة من حيث إنها وجبت بأمره والحقيقة أيضا شريعة من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره. (الرسالة القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، ومحمود ابن الشريف).

قوالب العبودية ظهرت الشريعة والحقيقة، فشهود العظمة من حيث هي حقيقة والقيام بآداب القوالب عبادة وعبودية شريعة، وأما الطريقة فهي إصلاح الضمائر لتتهيأ لإشراق أنوار الحقائق عليها، فالشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لإصلاح الضمائر والحقيقة لتزيين السرائر.

ويقال: الشريعة عين الحقيقة من حيث إنها وجبت بأمره، والحقيقة عين الشريعة من حيث إنها مكلف بها من قبل الشريعة، وقد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يتوصل به إلى شيء أو يكون سبباً في إدراكه، فالأسباب كلها شرائع والمقاصد كلها حقائق فالحس شريعة المعنى إذ به قبضت والمجاهدة شريعة المشاهدة والذل شريعة العز والفقر شريعة الغنى وهكذا والحرث والغرس شريعة جنى الثمار ولذلك يقولون: من غرس الشرائع أثمرت له الحقائق ومن غرس الحقائق أثمرت له الشرائع أي أخرجته إلى الرجوع إلى الشرائع وفي ذلك يقول الشاعر:

ثمار ما قد غَرست تجنى ... وهــذه عــادة الزمــان

الذات والصفات

اعلم أن للحق جل جلاله ذات وصفات في الأزل وفي الأبد، أعنى قبل التجلي وبعده؛ إذ صفاته قديمة بقدم ذاته والصفة لا تفارق الموصوف فحيث تجلت الذات فالصفات لازمة لها كامنة فيها وحيث ظهرت الصفات فالذات لازمة لها فالذات ظاهرة والصفات باطنة، والمراد بالصفات صفات المعاني وسائر أوصاف الكمال فكل ما وقع به التجلي والظهور فهو بين ذات وصفات الذات لا تفارق الصفات، والصفات لا تفارق الذات وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود هو الذي قصد من قال: الذات عين الصفات أي مظهرهما

واحد، كما قالوا: الحس عين المعنى اتحد مظهرهما قال بعض المشارقة في بعض أزجاله:

يـــا وارد العــــين إن حــقــقت زال الشــك

الذات عـين الصـفـات مـا في المعــاني شك

ولا يصدنك عن شهود الذات رداء الحس المنشور على وجه المعاني فإن هذا الأمر من مدارك الأذواق والوجدان لا من طريق دليل العقل والبرهان ولله در ابن الفارض حيث يقول:

فَثَم وراء النقل علم يَدقُ عــن مدارك غايات العقول السليمة

واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر أثر الصفات، إذ لو تجلت بلا واسطة لاضمحلت المكونات وتلاشت ولذلك يقولون تجلّي الذات جلالي وتجلّي الصفات جمالي، لأن تجلّي الذات بلا واسطة يمحق ويحرق كما في الحديث[1] وتجلّي الصفات يكون بالأثر فيكون معه الشهود والمعرفة فهو

---

(١) قوله الحديث أخرجه مسلم فى الجزء الأول من صحيحه فى باب قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينام. عـن أبى موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى لـه أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفى روايـة أبى بكر: النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهـه ما انتهى إليه بصره من خلقه. أ.هـ

وقال ابن الأثير فى النهاية: إن جبريل عليه السلام قال: لله دون العرش سبعون حجابًا لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربنا.

وفى حديث آخر حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره. أ.هـ سبحات الله جلاله وعظمته وأضواء وجهه.

جمالي، ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات، وعلى كل ما هو جمالي صفات على سبيل التشبيه فقالوا: الفقر ذات والغنى صفات الذل ذات والعز صفات الصمت ذات والكلام صفات[1] وهكذا وهذا الاصطلاح ذكره شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه في كتابه ولا أدري هل سبق به أم لا.

---

(١) قوله ثم توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالى ذات وعلى كل ما هو جمالى صفات على سبيل التشبيه فقالوا الفقر ذات والغنى صفات الخ.

المتبادر ولعله الصواب أن يطابق الخبر مبتداه فى الأفراد فيقول كل ما هو جمالى صفة وكذا يقول الغنى صفة أو تقول مراد الشيخ رضى الله عنه المعنى وعليه فقوله كل ما هو جلالى ذات وكل ما هو جمالى صفات فكل هنا خليفة عن ال الجنسية فكأنه قال التجلى الجلالى ذات والتجلى الجمالى صفات: قال ابن هشام فى مغنى اللبيب آل الجنسية إما لاستغراق الأفراد وهى التى تخلفها كل حقيقة نحو وخلق الإنسان ضعيفا ونحو إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ولهذا قال الفقر ذات والغنى صفات والقاعدة أن ال الجنسية إذا دخلت على جمع أبطلت معنى الجمعية فهو كقولك الحيوان أنواع يعنى أن التجلى الجلالى كالفقر والذل ذاتى للعبد لأنه يرده إلى العبودية التى هى اصله وتنبسط النفس منه لأنها تأخذ حظها منه بخلاف التجلى الجلالى فانه لاحظ للنفس فيه ولذلك تنقبض منه يعنى أن الفقر الذى هو أثر صفات الحق التجلى به على جميع العبيد هو ذاتى لهم صفة لازمة لهم لا تنفك عنهم ما داموا موجودين قال ابن عطاء الله نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الامداد أنعم عليك أولا بالإيجاد وثانيا بتوالى الإمداد وقال تعالى ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ وإن الغنى الذى هو أثر صفات الحق المتجلى به على بعض العبيد. هو صفة من الصفات العارضة لهم فهو عارية عندهم ووديعة ولا بد من يوم ترد الودائع. وأما الغنى المطلق الذى هو صفة من صفات الحق تعالى فإنه خاص به قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغنى الحميد** ﴾.

الأنـوار والأسـرار

الأنوار عبارة عن ما ظهر من كثائف التجليات، والأسرار عبارة عن ما بطن فيها من المعاني اللطيفة فالأسرار أرق من الأنوار؛ فالأسرار للذات والأنوار للصفات لأنها أثرها، فالذات بعد التجلي بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة وأما في حال الكنزية فما كان إلا الأسرار فالجبروت كله أسرار والملكوت أنوار والملك أغيار وأكدار فالوجود واحد، فمن نظر إلى باطنه لم يرَ إلا الأسرار ومن نظر إلى ظاهره بعين الجمع لم يرَ إلا الأنوار، ومن نظره بعين الفرق لم ير إلا الأغيار جمع غير بالسكون ومن شغله عن التوجه إلى الله بتشغيبه وأهواله كان حقه أكدار، وإنما سميت تجليات الحق أنوار على وجه التشبيه لأن من شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها وكذلك تجلّي الحق يكشف عن ظلمة الجهل ويظهر العلم به ولذلك قالوا: العلم نور والجهل ظلمة على وجه الاستعارة وأما السر فهو الأمر الخفي الذي لا يدرك فلذلك قالوا في حق الخمرة الأزلية والمعاني القديمة أسرار وسموا الأرواح بعد التصفية أسرار لأنها لما تصفت رجعت لأصلها وهي قطعة من السر الجبروتي القديم فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع قديماً والله أعلم.

الضمائـر والسـرائر

فقيل معناهما واحد، وقيل السرائر أرق وأصفى كما أن الروح أرق من القلب؛ لأن الضمائر كل ما خفي في الباطن خيرا أو شرا والسرائر ما كمن فيه من المحاسن والتحقيق أنهما شيء واحد عبارة عما كَمُنَ في الباطن من العقائد والنيات بدليل الآية: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[١] والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الطارق الآية: ٩.

النفس

بالتحريك، قال القشيرى: يعنون به ترويح القلوب بلطائف الغيوب، فصاحب الأنفاس أرفع من صاحب الأحوال ومن صاحب الوقت، فكأن صاحب الوقت مبتدئ وصاحب الأنفاس منتهى وصاحب الأحوال بينهما؛ فالأوقات لأصحاب القلوب والأحوال لأصحاب الأرواح والأنفاس لأهل السرائر.

قلت: النفس أدق من الوقت؛ فحفظ الأوقات من التضييع للعباد والزهاد وحفظ الأنفاس للعارفين الواصلين واستعمال الأحوال للمريدين، والمراد بحفظ الوقت حضور القلب فيه وبحفظ النفس حضور السر في مشاهدة الحق، يقال فلان طابت أنفاسه إذا صفا مشربه من عين التوحيد من كدورة الأغيار، فقوله في حد النفس ترويح القلوب أي خروجها من تعب العسة[١] ودوام المراقبة إلى راحة المشاهدة بما يبدو لها من لطائف أسرار التوحيد وفضاء الشهود. ثم قال القشيرى: وقالوا أفضل العبادة حفظ الأنفاس أي دوام الفكرة والنظرة كما قال الشاعر:

مِن أحسن المذاهب سُكر على الدوام
وأكمَل الرغائب وصل بلا انصرام[٢]

قال أبو على الدقاق: العارف لا يسلم له النفس أي تضييعه إذ لا مسامحة تجري معه أو المحب لا بد له من النفس؛ إذ لولا ذلك لتلاشا لعدم طاقته. فالعارف لما اتسعت معرفته سهل عليه حفظ أنفاسه لسهولة حضوره

(١) العسة: أى الحراسة.

(٢) أى بلا انقطاع، وفى الحديث الشريف: «أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قَلَّ».

وتمكن شهوده بخلاف المحب فلضيق حاله لا يستطيع دوام حضوره في خدمته وعلى تقدير سهولتها عليه لفنائه فيها قد تختل بشريته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « **روِّحوا قلوبكم بشيء من المباح** »(١) **أو كما قال صلى الله عليه وسلم لحنظلة**(٢) **والصدِّيق «لو تدومون كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة ولكن ساعة بساعة»** .

---

(١) رواه أبو داود عن أنس بألفاظ متقاربة .

(٢) في نوادر الأصول : في الأصل ٧٢ في الذكر الخفي عن حنظلة الأسيدي وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة قلت نافق حنظلة يا أبا بكر قال سبحان الله ما تقول قلت نافق حنظلة قال م ذاك قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذكرنا بالجنة والنار حتى كان يرأى عين أو كانا نراهما فإذا خرجنا من عنده عاقسنا الأزواج والأولاد والضيعات ففزع أبو بكر فقال والله إنا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنت يا حنظلة قلت نافق حنظلة يا رسول الله قال م ذاك قلت نكون عندك يا رسول الله فتذكرنا بالجنة حتى كانا رأى عين حتى إذا خرجنا من عندك عاقسنا الأزواج والأولاد والضيعات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرفكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة الذكر المذهل للنفوس إنما يدوم ساعة ثم ينقطع ولولا ذاك لما انتفع بالعيش والناس في الذكر على طبقات فمنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر ثم تعلوه غفلة حتى يقع في التخليط وهو الظالم ومنهم من يدوم له ذكر في وقت الذكر ثم تعلوه معرفته بسعة رحمة الله تعالى وحسن معاملته مع عبادة فتطيب نفسه بذلك فيصل إلى معاشة وهو المقتصد على سبيل الإستقامة وأما أهل اليقين وهم السابقون المقربون جاوزوا هذه الخطة وهم درجات إلى أن قال وقوله ساعة وساعة أى ساعة للذكر وساعة للنفس فساعة الذكر تكون الجنة والنار رأى عينه وساعة يقبل على المعاش ومرمته لأن القلب ربما عجز عن احتمال ما يحل فيه فيحتاج إلى مزاج الخ .

الفكرة والنظـرة

الفكرة جَوَلان القلب في تجليات الرب وقال في الحكم: هي سير القلب في ميـادين الأغيـار وهذه فكرة الطالبين، وفكرة السائرين سيـر القلب في ميـادين الأنوار، وفكرة الوصالين سيـر الروح في ميـادين الأسـرار وترجع إلى فكرتين فكرة تصديق وإيمان، وهي لأهل الاعتبار من عامة أهل اليـمين وفكرة شـهـود وعيـان وهي لأهل الاستـبـصـار من نجـبـاء المريدين وخاصـة العـارفين المتمكنين. وهي سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له وهي سبب الغنى الأكبر وبها يتحقق السير ويحصل الوصول فمن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصـول له، وكـان شـيـخنا البـوزيدي رضي الله عنه يقـول: الفـقـيـر بلا فكرة كالخياط بلا إبرة. وأما النظرة فهي أرق من الفكرة وأرفع لأنها مبدأ الشهود فالجَولان في الأكوان وهدمها وتلطيفها فكرة، والنظرة في نفسه أو غيره من التجليات وغيبته عنها بشهود الحق نظرة فإن تمكن من الشهود ودام فيه سمِّي العكوف في الحضـرة ولذلك يقـال أول المقـامـات ذكـر ثم فكرة ثم نظرة ثم عكوف في الحضرة والله تعالى أعلم.

= وفى رواية الإمام أحـمـد بن حنبل فى مسنده والترمذى عن أبى هريرة بلفظ لو أنكم تكونون على كل حال على الحالة التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة باكفتهم ولزارتكم فى بيوتكم ولو لم تذنبـوا لجاء الله بقوم يذنبون كى يغفر لهم (حم ت عن أبى هريره) ص ٤٢ الجـزء الثالث مـن الفتـح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للنبهانى وقال ابن الأثير نافق حنظلة: أراد أنه إذا كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخلص وزهد فى الدنيا وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح نفسه.

الشاهــد

قال القشيري: قد يجرى في كلامهم فلان بشاهد[١] العلم وفلان بشاهد الوجد وفلان بشاهد الحال[٢] ويريدون بلفظ الشاهد ما يكون حاضر قلب الإنسان وما هو غالب ذكره كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبا عنه وكل ما يستولى على قلب الإنسان ذكره فهو شاهده فإن كان الغالب عليه ذكــر العلم فهــو بشاهــد العلم وإن كان الغالب عليه الوجد فهــو بشاهد الوجــد ومعنى الشاهد الحاضر فكل ما هو حاضر قلبك فهو بشاهدك.

الخمـرة والكأس والشـراب

أما الخمرة فقد يطلقونها على الذات العلية قبل التجلِّى وعلى الأسرار القائمة بالأشياء بعد التجلِّى فيقولون الخمرة: الأزلية تجلت بكذا ومن نعتها كذا وقامت بها الأشياء تستراً على سر الربوبية وعليها غَنَّى ابن الفارض فى خمريته وإنما سموها خمرة لأنها إذا تجلت للقلوب غابت عن حسها كما تغيب بالخمرة الحسية وقد يطلقونها على نفس السكر والوجد والوجدان، يقولون كنا في خمرة عظيمة أي في غيبة عن الإحساس كبيرة وعلى هذا غنى الششترى حيث قال:

خمـرها دون خمـرى خمــرتــى أزليــــة

أي سكر خمرة الدوالي دون خمرتي وأما الكأس الذي تشرب منه هذه الخمرة فهو كناية عن سطوع أنوار التجلى على القلوب عند هيجان المحبة

---

(١) أى متلبس.

(٢) انظر الرسالة القشيرية الجزء الأول ص ٢٦٨ تحقيق الدكتورعبد الحليم محمود، محمود ابن الشريف.

فتدخل عليها حلاوة الوجد حتى تغيب وذلك عند سماع أو ذكر أو مذاكرة وقيل الكأس هو قلب الشيخ فقلوب الشيوخ العارفين كؤوس لهذه الخمرة يسقونها لمن صحبهم وأحبهم والشرب حضور القلب واستعمال الفكرة والنظرة حتى تغيب عن وجودك في وجوده، هو السكر فالشرب والسكر متصلان في زمن واحد في هذه الخمرة بخلاف خمرة الدنيا.

وقال القطب ابن مشيش: المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت والأفعال بالأفعال ويتسع النظر لمن شاء الله عز وجل والشراب يسقي القلوب والأوصال والعروق[١] من هذا الشرب، ويكون الشرب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب فيسقِى كلٌ على قدره فمنهم من يُسقَى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك منه.

قلت: وهذا نادر ومنهم من يسقَى من جهة الوسائط كالملائكة والعلماء والأكابر من المقرَّبين ثم قال: والكأس مغرفة الحق يغرف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي لمن شاء من عباده المخصوصين إلى آخر كلامه وقد فسرناه في شرح الخمرية.

المريد والفقير والملامتى والمقرَّب

أما المريد: فهو الذى تعلَّقت إرادته بمعرفة الحق ودخل تحت تربية المشايخ وقد تقدم، **وأما الفقير**: فهو الذي افتقر مما سوى الله ورفض كل ما

---

(١) وإلى هذا يشير بعضهم بقوله: تجلى لهم صدفا فأفنى وجودهم ولم يبق من أجسامهم مفصلا أصلا.

يشغله عن الله، ولذلك قالوا الفقير لا يملك ولا يملك أي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء فهو أنهض من المريد وأخص لأن المريد قد يكون من أهل الأسباب، وقيل الفقير هو الذى لا تقله الأرض ولا تظله السماء أي لا يحصره الكون لرفع همته ونفوذ بصيرته.

وقال بعضهم شروط الفقير أربعة: رفع الهمة، وحسن الخدمة، وتعظيم الحرمة، ونفوذ العزيمة. وأما الملامتى فقالوا هو الذى لا يظهر خيرا ولا يُضمر شرا أى هو الذي يخفى ولايته ويظهر من الأحوال ما ينفر الناس عنه. والمقرَّب هو المحقق بالفناء والبقاء، قال بعضهم: الفقر والملامتة والتقريب أنواع من التصوف ومراتب فيه فإن الصوفي هو العامل في تصفية وقته مما سوى الحق فإذا سقط ما سوى الحق من يده فهو الفقير، وإن كان لا يبالى بالناس فلا يظهر خيرا ولا يضمر شرا فهو الملامتى، والمقرَّب من كملت أحواله فكان بربه لربه وليس له عن سوى الحق أخبار ولا مع غير الله قرار.

العُبَّاد والزهَّاد والعارفون

هذه ألفاظ معانيها متقاربة يجمعها معنى التصوف في الجملة الذي هو قصد التوجه إلى الله تعالى، إلا أن من غلب عليه العمل كان عابدا ومن غلب عليه الترك[1] كان زاهدا ومن وصل إلى شهود الحق ورسخ فيه كان عارفا. فالعُبَّاد والزُهاد شغلهم بخدمته إذ لم يصلحوا الصريح معرفته، والعارفون شغلهم بمحبته: ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً** ﴾[2].

---

(١) أى ترك شهوات الدنيا وملذاتها.

(٢) سورة الإسراء الآية: ٢٠.

الصالحون والأولياء والبدلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب

أما الصالحون : فهم من صلحت أعمالهم الظاهرة واستقامت أحوالهم الباطنة . **أما الأولياء** : فهم أهل العلم بالله على نعت العيان من الولي[١] وهو القرب، وقيل : من توالت طاعتهم وتحقق قربهم واتصل مددهم، وأما البدلاء فهم الذين استبدلوا المساوئ بالمحاسن واستبدلوا صفاتهم بصفاة محبوبهم، وأما النقباء فهم الذين نقَّبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المكون . وأما النجباء فهم السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجد والقريحة من المريدين . وأما الأوتاد فهم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة .

وأما القطب : فهو القائم بحق الكون والمكون وهو واحد وقد يطلق على من تحقق بمقام[٢] وعلى هذا يتعدد في الزمان الواحد أقطاب في المقامات والأحوال والعلوم، يقال فلان قطب فى العلوم أو قطب في الأحوال أو قطب فى المقامات إذا غلب عليه شيء منها، فإذا أريد المقام الذى لا يتصف به إلا واحد عبَّر عنه بالغوث وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب وأوتاد وأبدال وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة، وهو روح الكون الذي عليه مداره كما يشير إلى ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين، ولا يعرف ذلك إلا من له قسط ونصيب من سر البقاء بالله، وأما تسميته بالغوث فمن حيث إغاثته العوالم بمادته ورتبته الخاصة وله علامات يعرف بها .

---

(١) أى مأخوذ من الولى بفتح الواو وسكون اللام ومعناه القرب والدنو والولى بفتح الواو وكسر اللام وتشديد الياء الاسم منه .

(٢) القطب : هو الغوث . أى الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان .

قال القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي(١) **رضي الله عنه: للقطب خمس عشرة علامة** فمن ادَّعاها أو شيئًا منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات وإحاطة الصفات ويكرم بالحكم والفصل بين الوجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه وما ثبت فيه وحكم ما قبل وحكم ما بعد وما لا قبل ولا بعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم وما يعود إليه.

علامات القطب(٢)

فالعلامة الأولى: أن يكون متخلقا بأخلاق الرحمة على قدم موروثه صلى الله عليه وسلم، صاحب حلم ورأفة وشفقة وعفو وعقل ورزانة وجود وشجاعة كما كان موروثه صلى الله عليه وسلم.

والعلامة الثانية: أن يمد بمدد العصمة وهي الحفظ الإلهي والعصمة

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبد الجبار إمام الطريقة الشاذلية يرجع نسبه إلى الحسن بن علي والسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد عام ٥٩٣هـ بالمغرب.

من كلامه:

■ جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة.

■ إن لله عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وجملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه.

■ إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات، وعرف جميع الألسن إلهاما من الله عز وجل.

وفاته: توفي ٦٥٦هـ ودفن بحميثره على ساحل البحر الأحمر بين قنا والقصير.

(٢) من عمل المحقق.

الربانية كما كان موروثه صلى الله عليه وسلم، غير أنها فى الأنبياء واجبة وفي الأولياء جائزة، ويقال لها الحفظ فلا يتجاوز حدًّا ولا ينقض عهدا.

والعلامة الثالثة: الخلافة وهو أن يكون خليفة الله في أرضه أمينا على عباده بالخلافة النبوية قد بايعته الأرواح وانقادت إليه الأشباح.

والعلامة الرابعة: النيابة وهو أن يكون نائبا عن الحق في تصريف الأحكام حسبما اقتضته الحكمة الإلهية وفي الحقيقة ما ثم إلا القدرة الأزلية.

والعلامة الخامسة: أن يمد بمدد حملة العرش من القوة والقرب فهو حامل عرش الأكوان كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن.

والعلامة السادسة: أن يكشف له عن حقيقة الذات فيكون عارفا بالله معرفة العيان، وأما الجاهل بالله فلا نصيب له فى القطبانية.

والعلامة السابعة: أن يكشف له عن إحاطة الصفات بالكائنات فلا مكون إلا وهو قائم بالصفات وأسرار الذات، ومعرفة القطب بإحاطة الصفات أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية.

والعلامة الثامنة: أن يكرم بالحكم والفصل بين الوجودين أي بين الوجود الأول قبل التجلّي وهو المعبر عنه بالأزل وبالكنز القديم وبين الثاني وهو الذي وقع به التجلّي والفصل بينهما أن يعلم أن الأول ربوبية بلا عبودية ومعنى بلا حس وقدرة بلا حكمة بخلاف الثاني فإنه متصف بالضدّين ربوبية وعبودية ومعنى وحس وقدرة وحكمة ليتحقق فيه اسمه الظاهر واسمه الباطن فالضدين خاصة بالقبضة المتجلى بها وأما العظمة المحيطة بها الباقية على كنزيتها فهي باقية على أصلها فافهم.

والعلامة التاسعة والعاشرة: أن يكرم بالحكم بانفصال الأول عن

الأول، والمراد بانفصال الأول انفصال نور القبضة عن النور الأزلي الكنزي وهو بحر الجبروت، والمراد بما انفصل عنه ما تفرَّع من القبضة إلى منتهاه من فروع التجليات أي في الحال وأما في المآل فلا انتهاء له لأن تجليات الحق لا تنقطع أبداً فإذا انقضى هذا الوجود الدنيوي تجلى بوجود آخر أخروي ولا نهاية له.

والعلامة الحادية عشرة: أن يعلم ما ثبت في المنفصلات من المزايا والكرامات أو ضد ذلك، يعني في الجملة وأما التفصيل فمن خصائص الربوبية.

والعلامة الثانية عشرة: أن يعلم حكم ما قبل أي ما قبل التجلي وحكمه هوالتنزيه المطلق لأنه باق على كنزيته لم تدخله الضدان.

والعلامة الثالثة عشرة: أن يعلم حكم ما بعد وهو التكليف في مظاهر التعريف قياما برسم الحكمة وستراً لأسرار القدرة.

والعلامة الرابعة عشرة: أن يعلم ما لا قبل ولا بعد أى يعلم ما لا قبل لها ولا بعد لها وهي الخمرة[1] الأزلية والذات الأصلية كما قال ابن الفارض[2]:

فلا قبلها قبل ولا بعدها بعد — وقبلية الأبعاد هي لها ختم

والعلامة الخامسة عشرة: أن يطلع على علم البدء والمراد علمه تعالى الأزلي السابق للأشياء قبل أن تكون وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء وكل علم وكل معلوم يعود إليه وهذا هو سر القدر فقد يكاشف القطب على جزئيات منه ولا يشترط إحاطته بكلية

---

(١) وفى نسخة الحصرة.

(٢) هو الإمام أبو حفص عمر بن على بن المرشد الحموى أصل المصرى مولدا. عاش فى العصر الأيوبى بأحداثه، وشاهد أطرافا من القرن السادس والسابع الهجرى شاهد النهضة الصوفية الكبرى وأعلام التصوف الإسلامى الذين حفل بهم عصره.

توفى سنة ٦٣٢هـ ودفن بالقرافه بسفح المقطم ويعتبر من أشهر الشعراء المصريين المتصوفين إطلاقا.

الأشياء وجزئياتها لأن ذلك من وظائف الربوبية، وإنما يطلعه الله تعالى على جزئيات من نوع مخصوص وقد أشار الشيخ أبو العباس المرسي(١) رحمه الله تعالى إلى شيء من ذلك فقال: ما من وَليٍّ كان أو هو كائن إلا وقد اطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحظه من الله تعالى. وقال آخر: ما من نطفة تقع في الأرحام إلا وقد أطلعنى الله عليها وما يكون منها من ذكر أو أنثى وهذا من جملة الكرامات التى أتحف الله تعالى بها أولياءه وقد يكون قطبا كاملا وهو لم يطلع على شيء من هذه الأمور إلا أنه عارف بالله راسخ القدم في المعرفة وإذا أراد الله تعالى أن يظهر شيئاً في مملكته أطلعه عليه وقد لا يطلعه وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**والله لا أعلم إلا ما علَّمني ربى**»(٢) قال ذلك حين ضلت ناقته فلم يدر أين ذهبت فتكلم بعض المنافقين في ذلك ثم أعلمه الله تعالى بها.

وبالجملة فالاطلاع على المغيبات من جملة الكرامات، وهي لا تشترط في الولي قطبا كان أو غيره، والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

---

(١) أبو العباس المرسى من أكابر العارفين. يقول عنه الشعرانى: «كان يقال أنه لم يرث علم الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه غيره وهو أجل من أخذ عنه الطريق. ولم يضع رضى الله عنه شيئا من الكتب.

وكان رضى الله عنه يقول: «عولم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق». توفى في الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٧٨٥هـ ودفن في الإسكندرية في مقبرة باب البحر.

(٢) لم نعثر عليه.



فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٣
التعريف بالمؤلف	٩
مقدمة المؤلف	١٣
التصوف	١٤
التوبة	١٦
الإنابة	١٨
الخوف	١٨
الرجاء	١٩
الصبر	١٩
الشكر	٢٠
الورع	٢٠
الزهد	٢٢
التوكل	٢٢
الرضى والتسليم	٢٤
المراقبة	٢٥
المحاسبة	٢٥

الموضوع	الصفحة
المحبـة	٢٦
المشاهدة والمعاينة	٢٦
المعـرفـة	٢٧
التـقـوى	٢٧
الاسـتـقـامـة	٢٨
الإخلاص	٢٩
الصـدق	٣٠
الطمأنينة	٣١
الشوق والاشتياق	٣٢
الغيـرة	٣٢
الفتـوة	٣٣
الإرادة	٣٤
المـريـد	٣٤
المجاهدة	٣٥
الولاية	٣٦
الحرية	٣٧
العبـودية	٣٧

الموضوع	الصفحة
القناعة	٣٩
العافية	٤٠
اليقين	٤١
علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين	٤١
النعمة والفراسة	٤٢
الخلق	٤٤
الجود والسخاء والإيثار	٤٤
الفقر	٤٥
الذكر	٤٧
الوقت	٤٨
الحال والمقام	٤٩
القبض والبسط	٥٠
الخواطر والواردات	٥٠
النفس والروح والسر	٥١
النصر والتأييد والعصمة	٥٣
الحكمة	٥٤
العقل	٥٥

الموضوع	الصفحة
التوحيد	٥٧
الأحدية والإيحاد والفردانية والوحدانية والانفراد	٥٩
حقيقة الذات العلية	٥٩
العما	٥٩
الفناء والبقاء	٦٠
القدرة والحكمة	٦٢
الفرق والجمع	٦٣
الحس والمعنى	٦٣
الملك والملكوت والجبروت	٦٤
الناسوت واللاهوت والرحموت	٦٦
التواجد والوجد والوجدان والوجود	٦٦
الذوق والشرب والسكر والصحو	٦٨
المحو والإثبات	٦٩
الستر والتجلّي	٦٩
المحاضرة والمكاشفة والمسامرة	٧٠
اللوائح واللوامع والطوالع	٧٢
البوادة والهجوم	٧٣

الموضوع	الصفحة
التلوين والتمكين	٧٣
القرب والبعد	٧٤
الشريعة والطريقة والحقيقة	٧٥
الذات والصفات	٧٦
الأنوار والأسرار	٧٩
الضمائر والسرائر	٧٩
النفس	٨٠
الفكرة والنظرة	٨٢
الشاهد	٨٣
الخمرة والكأس والشراب	٨٣
المريد والفقير والملامتى والمقرب	٨٤
العباد والزهاد والعارفون	٨٥
الصالحون والأولياء والبدلاء والنقباء والنجباء والأوتاد والقطب	٨٦
علامات القطب	٨٧
الفهرس	٩١

قالوا رجال التصوف

■ **يقول إبراهيم بن آدم:**

لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات:

- أن يغلق باب النعمة، ويفتح باب الشدة.
- أن يغلق باب العز، ويفتح باب الذل.
- أن يغلق باب الراحة، ويفتح باب الجهد.
- أن يغلق باب النوم، ويفتح باب السهر.
- أن يغلق باب الغنى، ويفتح باب الفقر.
- أن يغلق باب الأمل، ويفتح باب الاستعداد للموت.

■ **يقول ذو النون المصرى:**

إنما دخل الفساد على الخلق من ستة أشياء:

- ضعف النية بعمل الآخرة.
- صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.
- غلبهم طول الأمل مع قرب الأجل.
- آثروا رضا المخلوقين على رضا الخالق.
- اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة نبيهم ﷺ وراء ظهورهم.
- جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم.